الفصل الثالث
واجبات الآباء تجاه أبنائهم في مرحلة ما قبل المدرسة من الميلاد حتى ست سنوات

ويتضمن الفصل:

التربية الجسمية.

التربية الاجتماعية.

التربية الوجدانية.

تعليق عام.

في هذا المرحلة التربوية الهامة ينتقل الطفل «من بيئة جسم أمه بيئة العالم الخارجي، وهكذا يخرج إلى العالم كامل التكوين من الناحية الجسمية، بمعنى أن أجهزة جسمه كاملة النمو وعلى استعداد للعمل»[1].

«ثم تتلقاه الأسرة التي ينتمي إليها، ويعيش بين ظهرانيها مع أفرادها في سنيه الأولى، ويقع تحت تأثيرهم»[2]، «وتمثل أخطر الفترات التي تؤثر في تكوين شخصيته وتحديد ملامحها الرئيسية»[3]. ويؤكد علماء النفس والتربية على أهمية هذه الفترة، نظراً لأنها الفترة التي يتم فيها أسرع النمو الجسدي والعقلي والاجتماعي[4]. كما أن إعداد الأطفال وتربيتهم في هذه الفترة، هو إعداد لمواجهة التحديات الحضارية، التي تفرضها حتمية التطور[5]. ويضيف البعض لتلك الأهمية أن الجهاز العصبي للطفل يكون مرناً في هذه السن، مما يجعله شديد التأثر بمن حوله يقلدهم في كثير من أمورهم، وتنطبع نفسه بما انطبعت عليه نفوسهم حتى يصبح (الولد سر أبيه)[6].

وليس معنى تلك الأهمية المتزايدة لهذه المرحلة في حياة الطفل، أن شخصية الطفل تتحدد بصورة لا يمكن معها إحداث أي تغيير فيما بعد، ولكن المقصود أن

---

(1) أحمد زكي صالح: **علم النفس التربوي**، مرجع سابق، ص 95.

(2) فرنسيس عبد النور: **التربية والمناهج**، مرجع سابق، ص 93.

(3) سيد إبراهيم الجيار: **التربية ومشكلات المجتمع** (مكتبة غريب، القاهرة، 1977) ص 36.

(4) فاخر عاقل: **علم النفس التربوي**، ط3 (عالم الكتب، القاهرة، 1974).

(5) حامد عبد العزيز الفقي: **دراسات في سيكولوجية النمو**، ط3 (عالم الكتب، القاهرة، 1974) ص13.

(6) معروف زريق: **كيف نربي أبناءنا**. ط2 (دار الفكر، دمشق، 1983) ص 21.

الملامح الرئيسية للطفل تتحدد بدرجة كبيرة خلال تلك الفترة المبكرة التي يعتبر البيت هو المجال الحيوي الرئيسي للتربية[1].

ومن هنا تتضح خطورة دور الأسرة، ممثلاً في الوالدين، وضرورة تحملهما لمسؤولية الرعاية التربوية على وجهها الصحيح، وحرصهما على توفير المناخ الملائم نفسياً ومادياً لنمو الطفل نمواً متكاملاً سوياً[2].

ووجه رسول الله ﷺ المسلمين إلى حسن رعاية أبنائهم وبخاصة الفتيات، وكان يعد من يحسن رعاية بناته بالمغفرة والفوز بالجنة.

* عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها أدخله الله الجنة»[3].

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءتني امرأة ومعها ابنتان تسألني فلم تجد عندي تمرة واحدة فأعطيتها فقسمتها بين ابنتيها ثم قامت فخرجت. فدخل النبي ﷺ، فحدثته، فقال: «من يُلِيَ من هذه البنات فأحسن إليهم كن له ستراً من النار»[4].

وحث الرسول ﷺ المسلمين على حسن تأديب الأبناء، ورغبهم فيه بما يعود عليهم من ثواب عظيم.

* عن جابر بن سمرة أن النبي ﷺ قال: «لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع»[5].

* وعن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: «ما نحل والد ولداً من نحل أفضل من أدب حسن»[6].

---

(1) سيد إبراهيم الجيار: **التربية ومشكلات المجتمع**، مرجع سابق، ص 36.

(2) عبد الحميد الصيد الزنتاني: **أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية**، (الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، 1984) ص 54.

(3) أخرجه أبو داود (ناصف، جـ 5، ص 7).

(4) أخرجه الشيخان والترمذي (ناصف، جـ 5، ص 7).

(5) أخرجه الترمذي (ناصف، جـ 5، ص 8).

(6) أخرجه الترمذي (ناصف، جـ 5، ص 8).

ويمكن تبيان رعاية الوالدين لأولادهم في الإسلام في مرحلة ما قبل المدرسة من خلال الأبعاد التربوية الأساسية الآتي:

أولاً: التربية الجسمية. ثانياً: التربية الاجتماعية. ثالثاً: التربية الوجدانية.

وفي كل بعد من الأبعاد الرئيسة السابقة نتناول عدداً من النقاط التي تندرج تحت كل بعد، وذلك من خلال الرجوع إلى مصادر التربية الإسلامية.

ولنبدأ بالبعد الرئيس الأول وهو:

أولاً ـ التربية الجسمية:

بداية فسوف يقوم الباحث بتحديد المقصود بالتربية الجسمية بصفة عامة، سواء في هذه المرحلة من النمو، أو في غيرها، ثم بعد ذلك نخص الحديث عن هذه المرحلة بالذات.

يقصد بالتربية الجسمية، كما تتفق عليها المصادر، وبحكم ما كانت تهدف إليه في الماضي، بأنها «تلك العملية التي يقوم الفرد (أو من يرعاه) خلالها بنشاط جسماني منظم بهدف تنمية قدرات الجسم المختلفة، وزيادة كفاءته الحركية، وما يرتبط بذلك من اكتساب مهارات حركية معينة، واتباع عادات صحية سليمة وذلك للتكيف مع متطلبات الحياة في مجتمعه»[1].

وبتخصيص الحديث عن التربية الجسمية في مرحلة ما قبل المدرسة وواجبات الآباء نحوها في ضوء الإسلام يمكن إفراد هذه النقاط:

1 ـ تقبل الطفل.

2 ـ اختيار اسم حسن.

3 ـ الختان.

4 ـ الرضاعة.

5 ـ اللعب.

6 ـ آداب الطعام والشراب.

---

(1) محمود أبو سمرة: التربية الجسمية في القرآن والسنة، بحث منشور في كتاب المنظمة العربية التربية والثقافة والعلوم، الفكر التربوي العربي الإسلامي، الأصول والمبادئ (المنظمة، تونس، 1987)، ص533.

ويبدو أن النقطتين الأولى والثانية لا تنتميان إلى التربية الجسمية، وهذا حق، إلا أن الباحث رأى أنهما مرتبطتان بلحظة خروج المولود من رحم أمه إلى الحياة الدنيا، وأن أفضل موضع لهما في مرحلة النمو الأولى والتي تبدأ من الميلاد وحتى تمام سن الخامسة.

1 ـ تقبل الطفل:

وتكمن أهمية هذه النقطة بالرجوع لما كان يحدث في المجتمعات القديمة من سوء استقبال للطفل المولود بصفة عامة، سواء أكان ذكراً أم أنثى. فَتُحدثُنا كتب تاريخ التربية في العصور القديمة، أن المجتمع الاسبرطي أوجب توقيع الكشف الطبي على المولود، من قبل لجنة حكومية، لتبين مدى ملاءمته للحياة. فإن كان مشوهاً أو ضعيفاً أو غير معروف الأب، فإن مصيره الوأد. وكذلك الحال في المجتمع الأثيني والروماني خاصة في أواخر العصر الإمبراطوري، حيث كان الأب يبيع أولاده من شدة الفقر، وكذلك كانوا يتركون بلا مأوى أو رعاية أبوية نظراً لانتشار ظاهرة التفكك الأسري والانحلال الخلقي[1].

واستمر هذا الوضع مع مر العصور إلا أنه تحسن قليلاً في بعض الفترات وتأخر في البعض الأخر. وقبل مجيء الإسلام، كان العرب ينظرون نظرة تشاؤمية عند ولادة البنت، وفي حالات أخرى كان مصير هذه الطفلة البريئة الوأد، ويصور هذا الموقف أحسن تصوير القرآن الكريم، فيقول الله تعالى في سورة النحل:

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[2].

---

(1) يمكن مراجعة:

(أ) فتحية حسن سليمان: **التربية في المجتمعين اليوناني والروماني** (دار نهضة مصر، القاهرة، 1970).

(ب) بول منرو: **المرجع في تاريخ التربية**، ترجمة صالح عبد العزيز ط2 (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1958).

(جـ) عبد الله عبد الدائم: **التربية عبر التاريخ** (دار العلم للملايين بيروت، 1973).

(2) سورة النحل، آية: 58 ـ 59.

ويقول أيضاً:

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾[1].

ولكن عندما جاء الإسلام، أوضح أن لله ملك السموات والأرض، وله أن يعطي وله أن يأخذ، وإذا أخذ لا يُسأل عن ذلك. وهو الذي يهب الذكور والإناث، ولا يملك أحد غيره التدخل في تحديد جنس الجنين.

فيقول الله تعالى مؤكداً على هذه الحقائق: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝٤٩ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[2].

ويقول أيضاً:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾[3].

ولذلك كان على المسلم إذا رزق بمولود أن يحمد الله عليه ويشكره، ويدعو الله تعالى أن يبارك فيه ويجعله قرة عين له. يقول تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[4].

ويقول تعالى على لسان سيدنا زكريا عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[5].

وتزداد مكانة الأولاد عند آبائهم فتزداد الدنيا بهاء وبهجةً وسروراً، يقول الله تعالى:

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[6]...

---

(1) سورة التكوير، آية: 8 ـ 9.

(2) سورة الشورى، آية: 49 ـ 50.

(3) سورة لقمان، آية: 34.

(4) سورة الفرقان، آية: 74.

(5) سورة آل عمران، آية: 38.

(6) سورة الكهف، آية: 46.

وهكذا يأتي القرآن الكريم ليؤكد على حرص الإسلام على المساواة بين البنات والبنين لدى الآباء، وكذلك الرضا بما وهب الله، والشكر له، والدعاء بأن يجعلهم الله ذرية طيبة.

أما الأحاديث فتأتي كذلك في نفس النهج لتحفز الآباء على مزيد من الرعاية والإحسان والتقبل للبنات.

يقول رسول الله ﷺ: «من كانت له ثلاث بنات فصبر عليهن، وسقاهن وكساهن من جدته (أي ماله) كن له حجاباً من النار»[1].

ويقول أيضاً: «من عال جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين ـ وضم أصابعه»[2].

2 ـ اختيار اسم حسن:

واختيار الاسم له تأثيره النفسي على الفرد، لذا أوجب الإسلام على الآباء بحسن اختيار الأسماء. يقول رسول الله ﷺ: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وبأسماء آبائكم، فأحسنوا أسماءكم»[3]. وأوصى الرسول عليه السلام:

(أ) اختيار أحسن الأسماء، والتي منها: عبد الله وعبد الرحمن (ما عبد وما حمد).

(ب) عدم تسميته بأسماء الله الحسنى: كأحد، والصمد، والخالق،....

(ج) عدم تسميته ما عبد لغير الله: كعبد الكعبة، وعبد الرسول، وعبد المسيح.

(د) أن يتجنب الأسماء التي فيها تشاؤم أو تميع مثل: حزن، هيام، هيفاء، ناريمان، سوسو، لولو، فوفو،...

وفي هذا المقام يوجد العديد من الأحاديث التي تؤكد هذه الوصايا، وهي مذكورة في مراجع كثيرة[4].

---

(1) رواه الإمام أحمد.

(2) رواه مسلم، ومذكور في النووي، ص 227، طبعة دار العلم للملايين.

(3) رواه أبو داود. مذكور في عبد الله علوان، ص 82.

(4) راجع:

(أ) عبد الله علوان: **تربية الأولاد في الإسلام**. جـ1، ط2، (دار السلام، بيروت، 1978) ص. ص 81 ـ 92.

(ب) عبد الحميد الصيد الزنتاني: **أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية**، مرجع سابق، ص 72.

3 ـ الختان:

شرع الإسلام الختان للمسلمين وجعله من الفطرة، حيث قال رسول الله ﷺ: «الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط»[1]. وفي هذه الفطرة اتباع لما فعله سيدنا إبراهيم عليه السلام، ونحن أمرنا باتباع ملة إبراهيم حيث قال تعالى:

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾[2].

وجاءت الأحاديث لتؤكد وجوب ختان الطفل المسلم، ومن هذه الأحاديث: عن عثيم بنم كليب عن أبيه عن جده، أنه جاء إلى النبي ﷺ فقال: قد أسلمت. قال الرسول: «ألق عنك (أي احلق) شعر الكفر واختتن»[3].

وفي حديث آخر، عن علي رضي الله عنه قال: وجدنا في قائم سيف رسول الله ﷺ في الصحيفة: «أن الأقلف (أي غير المختتن) لا يترك في الإسلام حتى يختتن»[4].

وقد عدد الفقهاء ومعهم الأطباء فوائد كثيرة لاختتان الرجل، منها ما هو شرعي، كاتباع فطرة الله، والامتثال لأوامره، وتميز المسلم عن الملل الأخرى، ومنها ما هو صحي، كالنظافة وتعديل الشهوة، والتخلص من المفرزات الدهنية، وتجنب الإصابة ببعض الأمراض[5].

---

(1) مسلم، جـ1، ص 153.

(2) سورة النحل، آية: 123.

(3) رواه أحمد وأبو داود، مذكور في عبد الله علوان، ص 103.

(4) رواه البيهقي، مذكور في عبد الله علوان، ص 103.

(5) للنظر في مشروعية الختان وأحكامه يمكن الرجوع إلى:

(أ) عبد الله علوان: **تربية الأولاد في الإسلام**، جـ1ـ مرجع سابق.

(ب) ابن قيم الجوزية (شمس الدين محمد بن أبي بكر) **تحفة المودود بأحكام المولود** (المكتبة التجارية، القاهرة، 1397هـ ـ 1977).

(جـ) عبد الفتاح أحمد فؤاد: في الأصول الفلسفية للتربية عند مفكري الإسلام (منشأة المعارف، الإسكندرية، 1983).

من ذلك نخلص إلى أن من واجبات الآباء تجاه أبنائهم أن يبادروا باختتانهم في اليوم السابع من الميلاد، ولهم في ذلك أجر من الله تعالى، لأن عدم فعلهم يوجب عليهم الإثم.

4 ـ الرضاعة:

يتحدث علماء نفس الطفولة المعاصرين عن الرضاعة الطبيعية وأهميتها سواء للطفل أو الأم.

فيؤكد بعضهم على أهمية دور الأم في إرضاع طفلها رضاعة طبيعية، وأن الرضاعة من الثدي خير وسيلة لتغذية الطفل من جميع الأوجه، فمن الناحية الصحية، نجد أن الطبيعة (قدرة الله وحكمته) قد هيأت كل الظروف الملائمة لتغذية الطفل. ويبدو ذلك واضحاً في ارتفاع نسبة الإصابات بالأمراض بين الأطفال ووفياتهم في الأطفال الذين يتغذون برضاعة صناعية[1].

أما من الناحية النفسية (السيكولوجية) فالطفل في أمس الحاجة إلى الأمومة الوثيقة الاتصال به، أي إنه في حاجة إلى الحب والدفء العاطفي والاتصال اللمسي بدرجة لا تقل عن التغذية الجسمية. إن الرضاعة وهز الطفل ومداعبته وملامسته كلها حاجات نفسية وضرورية لإشباع أعمق الحاجات النفسية عنده[2].

وقد تلجأ الأمهات إلى التغذية الصناعية لاعتقادهن بأن الرضاعة الطبيعية تفسد قوامهن، مع أن الحقيقة عكس ذلك تماماً. فيرى العلماء أن إرضاع الطفل من الثدي يعمل على انقباض جدران رحم الأم بعد ما يكون قد اتسع اتساعاً كبيراً خلال فترة الحمل، وهذا يعمل بالطبع على سرعة استعادة وضع الرحم إلى طبيعته الأولى مرة أخرى، أي إنه يحفظ قوام الأم الطبيعي[3].

---

(1) بنجامين سيرك: **دستور الأم**. ترجمة كمال سعيد، جـ1 (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1975) ص 66.

(2) ملاك جرجس: **مشاكل الأطفال النفسية**، جـ2 (كتاب اليوم الطبي، يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم، العدد (87)، 15 يونيه 1989) ص 120.

(3) روبرت شيدر: **الطفل في السنوات الخمس الأولى**. ترجمة محمد مصطفى الشعبيني وآخرون (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1956) ص 80.

أما بالنسبة لموضوع الفطام، فإن علماء النفس يقررون «إن أول موقف صدمي إحباطي يتعرض له الطفل في حياته هو موقف الفطام»[1]. فهو قد تعود أن يحصل على غذائه من أمه، بكل ما يعنيه ذلك من ارتباطه بها سيكولوجياً، ثم فجأة، يجد أن هذا الوضع قد تغير، وعليه أن يقبل وضعاً جديداً ينطوي على ابتعاد نسبي عن الأم[2].

وينصح هؤلاء العلماء بأن يتم الفطام تدريجياً، بمعنى أن الطفل يتدرج في الانتقال بين الاعتماد التام على لبن ثدي الأم إلى الطعام الخارجي، وهذا التدرج لا يفيد فقط من الناحية الجسمية بل إنه هام جداً للصحة النفسية للطفل، وذلك لأن الفطام المفاجئ يمثل عملية حرمان قاسية، لا زال الرضيع أصغر من أن يتحملها، كما أن الفطام المفاجئ يمثل عملية حرمان قاسية، لا زال الرضيع أصغر من أن يتحملها، كما أن الفطام المفاجئ قد يُكَوِّن عند الطفل بعض الميول العدوانية إزاء العالم الخارجي الذي يعتبر مسؤولاً في نظره عن حرمانه من صدر أمه[3].

هذا ما قاله علماء النفس المعاصرون، أما ما جاء في مصادر التربية الإسلامية فإن الأمر قد يختلف بصورة كبيرة، ونعرض أولاً لما جاء بالمصدر الأول للتربية الإسلامية وهو القرآن الكريم.

يقول الله تعالى:

﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ

---

(1) محمد عبد الظاهر الطيب وآخرون: الطفل في مرحلة ما قبل المدرسة. سلسلة تحت إشراف عزيز حنا داود (منشأة المعارف، الإسكندرية، 1983) ص 71.

(2) نفس المرجع السابق، نفس الصفحة.

(3) أحمد زكي صالح: علم النفس التربوي، مرجع سابق، ص. ص 129 ـ 130.
وراجع أيضاً:
ملاك جرجس: مشاكل الأطفال النفسية، مرجع سابق، ص 121.

أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[1].

والخطاب في هذه الآية موجه إلى (الوالدات) دون غيرهن في رضاعة أبنائهن، لما في ذلك من آثار صحية ونفسية، تساعد على نمو الطفل نمواً سليماً. وهذا لا يعني أن الآية الكريمة، تحدد هذا النوع من التعامل دون مراعاة لظروف أخرى غير طبيعية قد تطرأ على الموقف. فالله أعلم بظروف البشر ونفسياتهم من البشر أنفسهم، لذلك نجد الشرع جعل الموقف أكثر مرونة، حيث يمكن أن تصاب الأم بمرض يمنعها من الرضاعة أو تتأثر العلاقة الزوجية بما يجعل أمر الرضاعة غير قائم. وجاءت الآية في سورة الطلاق توضح ذلك، يقول الله تعالى:

﴿ ... وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴾[2].

وبالنسبة لـ (حولين كاملين) فإن الإمام الطبري يشرح ذلك بأن المقصود بها (سنتين) كما جاء عن مجاهد[3]. وألحقت كلمة (كاملين) بـ (حولين) لتفيد تمام السنتين.

وأما ما جاء بالآية: ﴿ ...وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾[4]. فقد جاء في تفسير الطبري عن ابن عباس: «في التي تضع لستة أشهر أنها ترضع حولين كاملين، وإذا وضعت لسبعة أشهر أرضعت ثلاثة وعشرين لتمام ثلاثين شهراً، وإذا وضعت لتسعة أشهر أرضعت واحداً وعشرين شهراً»[5].

وفي حالة اختلاف الوالدين في تحديد مدة الرضاعة، فإن الأمر يكون بالتشاور والتراضي بينهما، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾[6].

---

(1) سورة البقرة، آية: 233.

(2) سورة الطلاق، آية: 6.

(3) الطبري: جامع البيان، ج (5)، ص 31.

(4) سورة الأحقاف، آية: 15.

(5) الطبري: جامع البيان، جـ (5) ص 32.

(6) سورة البقرة، آية: 233.

ويضيف تفسير ابن كثير في هذا الأمر، أن الله تعالى أشار إلى الوالدات بكمال الرضاعة وهي سنتان، ولا اعتبار بعد ذلك. فقال رسول الله ﷺ: «لا رضاع بعد فصال..»[1].

وقد أجمع المفسرون لهذه الآيات على أن أقصى مدة للرضاعة هي حولين كاملين، لأن ذلك يسبب خطورة على الطفل، وعلى الجنين إن كان هناك حمل. فقد اتضح أن استمرار الرضاعة أثناء الحمل يؤثر على صحة الجنين، كما يعيق من حركة نموه الطبيعي. كما أن استمرار الرضاعة بعد العامين يؤثر على شخصية الطفل الرضيع ويجعل منه إنساناً متواكلاً مرتبطاً بأمه ضعيفاً في مواجهة أي شي.

وبعد عرض ما جاء بالمصدرين الأول والثاني من مصادر التربية الإسلامية نأتي لأعلام المفكرين الإسلاميين وما ذكروه بشكل خاص بالرضاعة والمرضعة.

وأشهر من تحدثوا في هذا المقام هو الشيخ الرئيس ابن سينا (أبو علي الحسين ابن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، المولود في قرية قرب بخارى عام 370هـ (980م) والمتوفى عام 428هـ (1036م)[2]. في كتابه المشهور (القانون في الطب)[3]. ولكن عثر الباحث على مفكر وعالم إسلامي آخر ولد قبل ابن سينا بخمس وثمانين سنة على الأقل (ولد عام 285هـ 895م) بمدينة القيروان واسمه أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن خالد المعروف بابن الجزار القيرواني، والذي برع في الطب وكتب مؤلفه (سياسة الصبيان وتدبيرهم)[4]. وهو أول مؤلف من نوعه، حسب رواية ابن الجزار نفسه في مقدمة كتابه.

---

(1) ابن كثير، جـ(1)، ص 283.

(2) محمد عثمان نجاتي: ابن سينا... بحث في كتاب المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (بالاشتراك مع مكتب التربية العربي لدول الخليج) بعنوان: من أعلام التربية العربية الإسلامية، المجلد الثاني. (مكتب التربية العربية: الرياض، 1409هـ ـ 1988م) ص 247.

(3) ابن سينا: **القانون في الطب**، جـ1 (طبعة بولاق جديدة ـ نشر مؤسسة الحلبي، القاهرة، 1294هـ).

(4) ابن الجزار: سياسة الصبيان وتدبيرهم، مرجع سابق.

وبقراءة متصفحة للكتابين يتبين أن أفكارهما متقاربة، ولغتاهما كذلك، غير أن ابن الجزار تطرق إلى موضوعات تختص بالأطفال لم يذكرها ابن سينا، مثل أمراض الأطفال، ووصف الأدوية المقدمة للعلاج بكل دقة. لذا فإن الباحث يعتقد أن ابن سينا اطلع على مؤلفات ابن الجزار واستفاد منها الكثير في مجال الأطفال والعناية بهم. والباحث سوف يستعين بمؤلفيهما في وصف وشرح ما جاء متعلقاً بالصبي وإرضاعه وشروط المرضعة، وأخيراً فطامه.

يقول الطبيب ابن سينا في شأن اللحظات الأولى لميلاد الطفل: «يجب أن يبدأ أول شيء بقطع سرته فوق أربع أصابع وتربط بصوف نقي فتل فتلاً كي لا يؤلم»[1]. ثم ينتقل بعد ذلك إلى غسله: «نغسله بماء فاتر وننقي منخريه دائماً بأصابع مقلمة الأظافر، ونقطر في عينيه شيئاً من الزيت، ويدغدغ دبره بالخنصر لينفتح، ويتوقى أن يصيبه برد»[2]، ثم «تبدأ القابلة وتمس أعضاءه بالرفق فتعرض ما يستعرض، وتدق ما يستدق، وتشكل كل عضو على أحسن شكله، كل ذلك بغمز لطيف بأطرف الأصابع، ويتوالى ذلك معاودات متوالية»[3].

وبالنسبة لإحمامه ونظافته: يقول ابن الجزار «وتؤمر الحاضنة أن تحمّه بالماء الحار العذب، ويكون الماء معتدلاً، لا حاراً جداً، ويفعل ذلك في بيت معتدل الدفء، مظلم قليلاً، ويحم أول الغداة، ونصف النهار. وعند العشاء، وتصب عليه الماء باليد اليمنى فتطليه به أولاً دلكاً قليلاً، ثم تصب قليلاً على ذلك الممزوج ما كان رويداً رويداً لئلا يبرد، حتى يحم بدنه كله... وتُمَيل كل عضو من أعضائه إلى ما ينبغي»[4].. وبعد تحميمه «تضعه على بطنه، ثم على ظهره، وهي في ذلك تدهنه بإحدى يديها من أسفل، وبالأخرى من فوق، وتمسح عينيه بإبهامها مسحاً رقيقاً وتعد له إلى كل ناحية لتصير عروقه واسعة، وتعتاد مفاصلة الالتواء، ثم تشده بالحذق بعد أن تنشفه»[5]...

---

(1) ابن سينا: القانون في الطب، مرجع سابق، جـ1، ص 150.

(2) المرجع السابق، جـ 1، ص 150.

(3) المرجع السابق، جـ1، ص. ص 150 ـ 151.

(4) ابن الجزار: سياسة الصبيان وتدبيرهم، ص. ص 63 ـ 64.

(5) المرجع السابق، نفس الصفحات.

وبالنسبة لنوم الطفل: يقول ابن سينا ينام الطفل «في بيت معتدل الهواء ليس ببارد ولا حار، ويجب أن يكون البيت إلى الظل والظلمة كما هو، لا يسطع فيه شعاع غالب»[1] **وبالنسبة لمرقده:** يقول ابن الجزار يجب أن يكون «مستوياً معتدلاً، فلا يكون ليناً جداً لئلا ينقلب أو يلتوي عنقه، ويجعل رأسه إذا نُوِّم أعلى من جميع بدنه»[2].

وبالنسبة لإرضاعه: فيرى ابن الجزار وكذلك ابن سينا ضرورة أن تكون المرضعة الأولى هي الأم، إن لم تكن لها علة، فلبن الأم «أشبه الأغذية بجوهر ما سلف من غذائه وهو في الرحم أعني طمث أمه فإنه بعينه هو المستحيل لبناً، وهو أقبل لذلك وآلف له»[3]، كما أن لبنها يؤثر فيه من حيث الصحة والسلامة، «إنها ترضعه لبنها وعاداتها وأخلاقها وصحتها وسقمها وعاطفتها»[4].. ولذلك حرص المربون أن تكون الأم في حالة نفسية طيبة حين قيامها بعملية الإرضاع واستحبوا أن تكون أول من ترضعه أول الأمر «غير أمه حتى يعتدل مزاج أمه»[5]. وإذا لم تتمكن الأم من إرضاع وليدها ومنعها من ذلك «مانع من ضعف أو فساد لبنها أو ميله إلى الرقة، فينبغي أن يختار له مرضعة على الشرائط التي نصفها في سنها وبعضها في سحنتها وبعضها في أخلاقها وبعضها في هيئة ثديها وبعضها في كيفية لبنها وبعضها في مقدار مدة ما بينها وبين وضعها، وبعضها من جنس مولودها»[6].

ويوضح كل من ابن سينا وابن الجزار صفات المرضعة بتفصيلات دقيقة لا تقل عما نقرؤه أو نسمعه اليوم في القرن الواحد والعشرين من أساتذة طب الأطفال، بل إنهم يزيدون عليهم في بعض الجوانب.

---

(1) ابن سينا: القانون في الطب، جـ1، مرجع سابق، ص 151.

(2) ابن الجزار: سياسة الصبيان وتدبيرهم، مرجع سابق، ص 62.

(3) ابن سينا: مرجع سابق، جـ1، ص 151.

(4) ابن الجزار: مرجع سابق، ص 71.

(5) ابن سينا: مرجع سابق، جـ0، ص 151.

(6) المرجع السابق، نفس الصفحة.

شروط المرضعة:

1 ـ **السن:** «أن تكون شابة غير مسنة، وذلك أن الشابة تكون ابنة خمس وعشرين والكبيرة ابنة خمس وثلاثين سنة، إن كانت مسنة جداً لم يكن لبنها غزيراً ولا جيداً صحيحاً، وإن كانت وسطاً كانت نافعة للصبي منفعة عظيمة»[1].

2 ـ **الخَلْق (السحنة والهيئة):** «ينبغي أن تكون حسنة القامة، جيدة البضعة، جيدة الذراعين والساقين، حسنة الوجه»[2]، «حسنة اللون قوية العنق والصدر واسعته عضلانية صلبة اللحم متوسطة في السمن والهزال لحمانية لا شحمانية»[3]، «وأن يكون صدرها واسعاً وثدياها وسطاً لا كبيرتين، ولا صغيرتين ملستين غير رخوتين، وتكون حلمتاها لينتين واسعتي المري، لا صغيرة ولا كبيرة، وينبغي أن تكون قد ولدت ولدين أو ثلاثة من غير وجع ولا إسقاط، وتكون قد ولدت مع أم الصبي الذي ترضعه»[4]، وطوال مدة الإرضاع «لا تجامع البتة»[5].

3 ـ **الخُلُق:** يجب أن تكون «حسنة الأخلاق ومتدينة لا تأكل إلا الحلال»[6]. «بطيئة عن الانفعالات النفسية الردية، من الغضب والغم والجبن وغير ذلك»[7]، «ويفضل أن تكون قريبة لأم الصبي»[8].

---

(1) ابن الجزار: مرجع سابق، ص. ص 70 ـ 72.

(2) المرجع السابق، نفس الصفحات.

(3) ابن سينا: مرجع سابق، جـ1، ص 152.

(4) ابن الجزار: مرجع سابق، نفس الصفحات.

(5) ابن سينا: مرجع سابق، ص 153.

(6) الغزالي (محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي المعروف بأبي حامد، ولد سنة 450هـ ـ 1059م): إحياء علوم الدين، جـ3، (طبعة البابي الحلبي، القاهرة، 1957) ص 63.

يوجد تعريف مختصر ووافي عن حياة الغزالي وعصره في البحث التالي: فائز محمد علي الحاج: أبو حامد الغزالي منشور في كتاب. من أعلام التربية العربية الإسلامية، المجلد الثالث، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، 1988.

(7) ابن سينا: مرجع سابق، ص 152.

(8) ابن الجزار: مرجع سابق، نفس الصفحات.

4 ـ **كيفية الإرضاع**: «يجب في كل إرضاع وخصوصاً في الإرضاع الأول أن يحلب شيء من اللبن ويسيل وأن يعان بالغمز لئلا تضطره شدة المص إلى إيلام آلات الحلق والمريء فيجف به، وإن ألعق قبل الإرضاع كل مرة ملعقة من عسل فهو نافع وإن مزج بقليل شراب كان صواباً، ولا ينبغي أن يرضع اللبن الكثير دفعة واحدة، بل الأصوب أن يرضع قليلاً منه»[1].

5 ـ **أعمال المرضعة**: «تستعمل من التعب مقداراً كافياً. وترتقي الدرج وتنسج وتعجن وتخبز وتلزم أعمال الأيدي. وتلعب بالكرة وتروض يديها في جميع ذلك رياضة معتدلة»[2].

6 ـ **الأطعمة والأشربة**: «ينبغي أن تغذى المرضعة بالأطعمة والأشربة الموافقة للبن، ويلزم أيضاً من قيامها على نفسها، ألا تجوع ولا تمتلئ ولا تستطلق بطنها ولا تيبس»[3]، «وتستعمل من الأطعمة ما كان مزاجه حسناً مثل خبز القمح،... وتجعل شربها الماء بقدر كثير لئلا يتجبن اللبن،... وتتجنب من الأغذية كل مالح وحريف (ما يلذع اللسان بحدة طعمه) والعفص (المرارة التي يعسر معها الابتلاع)، ومر وحامض، وكريه الرائحة، وتأكل من البقل وخاصة الخس، فإنه عمود الخلط، وتأكل اللوز فإنه يدر اللبن»[4].

ويستمر ابن الجزار في شرح صفة لبن المرضعة للصبي، ويصف اللبن السليم وتركيبه الطبيعي (لذيذ الطعم، أبيض اللون ـ طيب الرائحة، مستوى القوام، متوسط بين الخثورة والرقة) ويصف في باب مستقل قلة اللبن وأسبابه، ويقدم كيفية استعمال اللعوقات عند الحاجة، ويقدم في آخر الباب السادس علاج اللبن ورقته.

---

(1) ابن سينا: مرجع سابق، ص 153.

(2) ابن الجزار: مرجع سابق، ص 75.

(3) المرجع السابق، ص. ص 75 ـ 76.

(4) نفس المرجع السابق، نفس الصفحات.

ويتحدث ابن سينا عن فطام الطفل، ويرى أن مدة الرضاع هي سنتان، وينصح بالتدرج في الفطام لا دفعة واحدة، «فإذا تم فطامه نقل إلى ما هو من جنس الإحساء واللحوم الخفيفة»[1].

5 ـ اللعب:

يرى علماء النفس أن أهم ما يميز نمو الطفل في هذه المرحلة هو قدرته على النشاط العضلي، فهو يجيد الآن الحركات التي تحتاج إلى قوة كالجري والقفز والتسلق، وهو يجيدها إجادة تامة. أما الحركات العضلية الدقيقة كالأشغال اليدوية البسيطة والأعمال التي تحتاج إلى مهارة ودقة، فإنه يهتم بها، بل وقد يمارسها، ولكنها لا تعطيه الإشباع الكافي مثل الحركات التي تحتاج إلى قوة، لذلك يجب على الآباء والمربين أن يتيحوا الفرصة الكافية للطفل لممارسة ألوان من النشاط الحركي في الهواء الطلق[2].

وعندما يمارس الأطفال اللعب فإنهم ينغمسون فيه بحماس ونشاط إلى حد الإنهاك، ولذا فهم في حاجة إلى فترات راحة[3].

وفي محاولة لتفسير ظاهرة اللعب، وضع علماء النفس بعض النظريات، ومنها نظرية الإعداد لـ (جروس Gross)، ونظرية التخفف من القلق لمدرسة التحليل النفسي لرائدها فرويد[4]. والنظرية الأولى تفترض أن اللعب هو أسلوب أو طريقة لإعداد الصغار للقيام بالأعمال الجدية التي سيقومون بها وهم كبار، ومن ثم فاللعب يعتبر بمثابة تدريب وتنمية لوظائفهم الجسمية والعقلية والاجتماعية المختلفة، ومن الألعاب الهامة في تنمية الجوانب السابقة، ألعاب الصيد والجري

---

(1) ابن سينا: مرجع سابق، ص 153.

(2) أحمد زكي صالح: **علم النفس التربوي**، مرجع سابق، ص. ص 117 ـ 118.

(3) جابر عبد الحميد جابر: **علم النفس التربوي** (دار النهضة العربية، القاهرة، 1977) ص. ص 104 ـ 105.

(4) أحمد عزت راجح: **أصول علم النفس**، مرجع سابق، ص. ص 102 ـ 104.

والتسلق، وكذلك الألعاب الخيالية (كأن يتخذ من العصا قطاراً أو حماراً، أو كأن تجعل الطفلة من وسادتها ابنة لها)[1].

أما النظرية الثانية فترى أن اللعب يقوم بوظيفة نفسية هامة في حياة الطفل هي معاونته على التخفف مما يعانيه من قلق، الذي هو انفعال أليم قوامه الخوف، ويحاول الإنسان التخلص منه والتحرر من وطأته، واللعب إحدى هذه الطرق. ومن بين اللعب الذي يعبر عما يعاني منه الطفل من قلق، اللعب بالدمى، فتراه يضرب دميته أو يضع القطرة في عينها أو يأمرها بالتأدب في الكلام أو يلقيها من النافذة. وكذلك الرسوم الحرة، فقد يرسم الطفل رجلاً غليظاً وفي يده عصا ويقول هذا «زوج أمي»، وعن طريق اللعب أيضاً يتغلب الطفل على مخاوفه ويتخفف منها، فالطفل الذي يخاف العفاريت أو أطباء الأسنان يكثر من الألعاب التي يمثل فيها دور العفريت أو طبيب الأسنان[2].

هذا ما قاله علماء نفس الطفل المعاصرون، وننتقل إلى مصادر التربية الإسلامية، ونبحث فيما تقول خلال القرون الهجرية الأربعة الأولى، لنتعرف على قيمة ما أنتجه العقل المسلم.

فيذكر لنا القرآن الكريم واقعة سيدنا يعقوب عليه السلام مع أولاده، ودعوتهم لأبيهم بإرسال يوسف عليه السلام معهم لكي يمارس نشاطه ولعبه المحبب إليه: يقول الله تعالى على لسان أولاد يعقوب: ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[3].

«فقد أقر الإسلام اللعب، ولمن؟ لنبي من الأنبياء، وبموافقة أبيه وهو نبي من الأنبياء كذلك»[4]، يقول الإمام الطبري في تفسيره: «قال أبو جعفر إنما سألوا أباهم إرسال يوسف معهم، وخدعوه بالخبر عن مسألتهم إياه ذلك، عما ليوسف في

---

(1) أحمد عزت راجح: المرجع السابق، ص. ص 103 ـ 104.

(2) أحمد عزت راجح: المرجع السابق، ص. ص 104 ـ 107.

(3) سورة يوسف، آية: 11 ـ 12.

(4) محمود أبو سمرة: التربية الجسمية في القرآن والسنة، مرجع سابق، ص 555.

إرساله معهم من الفرح والسرور والنشاط بخروجه إلى الصحراء وفسحتها ولعبه هناك لا بالخبر عن أنفسهم»[1].

وإذا كان هذا هو حال القرآن المصدر الأول للتشريع الإسلامي، فإن السنة المطهرة جاءت مؤكدة على مبدأ اللعب للأطفال والترويح عنهم، ويمكن بيان ذلك من خلال استعراض ما جاء في كتب الحديث والسيرة النبوية.

1 ـ «عن ثابت، قال أنس: أتى رسول الله ﷺ على غلمان يلعبون فسلم عليهم»[2].

2 ـ عن سهل بن سعد قال: مر رسول الله ﷺ على صبيان وهم يلعبون بالتراب فنهاهم بعض أصحاب النبي ﷺ فقال: «دعهم فإن التراب ربيع الصبيان»[3].

3 ـ عن أنس قال: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة لعبت الحبشة لقدومه فرحاً بذلك، لعبوا بحرابهم»[4].

4 ـ عن عبد الله بن الحارث قال: كان رسول الله ﷺ يصِفُّ عبد الله وعبيد الله كثيراً، بني العباس، ثم يقول: من سبق إلي فله كذا، وكذا، قال فيستبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلزمهم[5].

5 ـ ويقول رسول الله ﷺ: «الهوا والعبوا فإني أكره أن يرى في دينكم غلظة»[6].

6 ـ ويقول رسول الله ﷺ: «عُرامة الصبي في صغره زيادة في عقله في كبره»[7] والعُرامة: لعب الصبي وحيويته وقوة حركته واجتماعه مع غيره.

7 ـ أخرج أبو يعلى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: رأيت الحسن والحسين رضي الله عنهما على عاتقي النبي فقلت: نِعْمَ الفرس تحتكما، فقال عليه الصلاة السلام: «ونعم الفارسان هما»[8].

---

(1) الطبري: جامع البيان. جـ(15)، ص 57.

(2) أبو داود، جـ(4)، ص 252.

(3) الهيثمي، جـ(8)، ص 159.

(4) أبو داود: مرجع سابق، ج (4)، ص 281.

(5) أحمد، جـ(3). ص 136، طبعة دار المعارف.

(6) المتقي الهندي: كنز العمال، جـ6، ص 173 (رواه ابن عدي في الكامل عن ابن عباس).

(7) رواه الترمذي في نوادره، مذكور في عبد الله علوان، مرجع سابق، ج2، ص 1015.

(8) الحديث مذكور في: عبد الله علوان: المرجع السابق، ص 1015.

8 ـ وروى الطبراني عن جابر رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ فدعينا إلى طعام فإذا الحسين رضي الله عنه يلعب في الطريق مع صبيان، فأسرع النبي ﷺ أمام القوم، ثم بسط يده فجعل يفر ها هنا وها هنا، فيضاحكه رسول الله حتى أخذه فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى بين رأسه وأذنيه، ثم اعتنقه وقبله، ثم قال: «حسين مني وأنا منه، أحب الله من أحبه، الحسن والحسين سبطان من الأسباط»[1]. والسبط هو ولد الولد.

9 ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان الحبش يلعبون بحرابهم فسترني رسول الله وأنا أنظر حتى كنت أنا أنصرف، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن تسمع اللهو»[2].

10 ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه، فيُسربِهُنَّ إلي، فيلعبن معي»[3].

11 ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك، أو خيبر، وفي سهوتها ستر، فهبت الريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة، يلعبن فقال: «ما هذا يا عائشة» قالت: بناتي ورأى بينهن فرساً له جناحان من رقاع. فقال: «ما هذا الذي أرى وسطهن». قالت: فرس. قال: «وما هذا الذي عليه». قالت: جناحان. قال: «فرس له جناحان». قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة. قالت: فضحك رسول الله ﷺ حتى رأيت نواجذه[4].

12 ـ عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله، فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه»[5].

---

(1) رواه الطبراني، مذكور في عبد الله علوان، مرجع سابق، ص 1016.

(2) البخاري: جـ7، ص 36.

(3) البخاري بحاشية السندي، جـ4، باب الانبساط إلى الناس، ص 96.

(4) أبو داود: جـ4، ص 439.

(5) مسلم، جـ6، ص 52.

ومن الأحاديث السابقة يمكن تبين الآتي:

1 ـ إن الرسول ﷺ قد بين بوضوح مقدار حاجة الطفولة إلى اللعب والمرح وذلك في أكثر من مناسبة.

2 ـ إن الرسول ﷺ، رغم كبر سنه، فقد اشترك بنفسه في ملاعبة الأطفال، وهذا ينبه الآباء إلى ضرورة عدم ترك الأطفال يلعبون معظم أوقاتهم منفردين بل يحاول الآباء تفريغ جانب من أوقاتهم والاشتراك مع أولادهم في اللعب. وهذا يزيد من علاقات الحب والود والارتياح والأمن النفسي لدى الطفل. وهذه النقطة لم توضحها الدراسات التي أشرنا إليها في بداية هذه النقطة.

3 ـ إن الرسول ﷺ أقر مجموعة من الأدوات يمكن أن يستخدمها الأطفال في ألعابهم، مثل التراب (الرمل الأصفر بالصحراء)، والحراب والدمى. وهذه الأدوات تتناسب مع البيئة التي عاش فيها الرسول ﷺ وأصحابه. وقد أشار إلى تلك النقطة بعض الباحثين المعاصرين.

4 ـ من حديث عائشة رضي الله عنها، عند عودة الرسول ﷺ، اتضح أنها كانت تستخدم اللعب الإيهامي أو الابتكاري، وقد وافقها على ذلك النبي عليه السلام، وهذا النوع من الألعاب هام جداً للطفل أو الغلام، وهو ما أشارت إليه الدراسات الحديثة وأوصت بالاهتمام به للتعرف على ما يدور في نفسية الطفل خاصة الطفل المشكل.

5 ـ أشار الرسول ﷺ في حديثه «عرامة الصبي في صغره زيادة في عقله في كبره» وكذلك الحديث «ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله، فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه»، أشار إلى وظيفة اللعب في إعداد الغلمان للحياة المستقبلية عندما يصبحون كباراً، وهو ما أشار إليه (جروس) في نظريته المشار إليها في بداية الحديث عن اللعب ونظرياته.

وإذا كانت هذه بعض توجيهات السنة الشريفة في مجال لعب الأولاد، فإنه يوجد المزيد من التوجيهات إلى أهمية اللعب واللهو المباح والتسلية والاهتمام بالتربية البدنية للكبار بصفة عامة.

أما عن مساهمات المفكرين الإسلاميين في هذا المجال، فيمكن بيانه بتناول عدد منهم:

1 ـ ابن سينا:

اهتم ابن سينا بالنمو الحركي للطفل في هذه المرحلة سواء في بدايتها (مرحلة سني المهد) أو أواخرها (مرحلة سن الصبا 3 ـ 5 سنوات) فقد أشار إلى ذلك ابن سينا حيث قال: «إذا أخذ الطفل ينهض ويتحرك فلا ينبغي أن يُمَكّن من الحركات العنيفة، ولا يجوز أن يحمل على المشي أو القعود قبل انبعاثه إليه بالطبع، فيصيب ساقه، وصلبه آفة، والواجب في أول ما يقصد ويزحف على الأرض أن يجعل مقعده على قطع أملس لئلا تخدشه خشونة الأرض، وينحى عن وجهه الخشب والسكاكين وما أشبه ذلك مما ينخس أو يقطع. ويحمى من التزلق من مكان عال»[1].

وباشتداد ساعد الطفل يبدأ في الحركة والنشاط والولع بهما، وهنا يؤكد ابن سينا على ضرورة اللعب للطفل مع العناية بنظافته. يقول ابن سينا: «وإذا انتبه الصبي من نومه فالأحرى أن يستحم ثم يخلى بينه وبين اللعب ساعة، ثم يطعم شيئاً يسيراً، ثم يطلق له اللعب الأطول، ثم يستحم، ثم يغذى، ويجنبون ما أمكن شرب الماء على الطعام لئلا ينفذ فيهم نَيّاً قبل الهضم»[2].

2 ـ الغزالي:

اهتم كذلك الغزالي برعاية الطفل، سواءً من ناحية النمو البدني بصفة عامة أو اللعب بصفة خاصة. فقال: «ينبغي أن يمنع من النوم نهاراً، فإنه يورث الكسل، ولا يمنع منه ليلاً، ولكن يمنع الفرش الوطيئة حتى تتصلب أعضاؤه ولا يسمن بدنه فلا يصبر على التنعم بل يعود الخشونة في المفرش والملبس والمطعم.. ويعود في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل»[3].

---

(1) ابن سينا: القانون في الطب، مرجع سابق جـ1، ص . ص 153 ـ 154.

(2) المرجع السابق، جـ1، ص 157.

(3) الغزالي: إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ج3، ص 63.

وفي شأن اللعب وضرورته للطفل، يقول الغزالي: «إن الصبي ينبغي أن يُؤْذَن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه من تعب المكتب، بحيث لا يتعب من اللعب. فإن مَنْع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعلم دائماً يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه»[1].

3 ـ ابن مسكويه:

يقول ابن مسكويه: «ينبغي أن يؤذن له في بعض الأوقات أن يلعب لعباً جميلاً، ليستريح فيه من تعب الأدب، ولا يكون في لعبه ألم ولا تعب شديد. فإذا شذى يُعَود المشي والحركة والرياضة، ثم ركوب الخيل، حتى لا يتعود أضدادها، ويعود ألا يكشف أطرافه، ولا يسرع في المشي، ولا يرخي يديه، بل يضمهما إلى صدره»[2].

4 ـ جعفر الصادق[3]:

يولي الصادق تربية الأطفال والناشئة أهمية بالغة، لذلك فهو يسوق كثيراً من الأقوال المعبرة والنصائح البالغة، وهو يرى أن يترك الصبي يلعب حتى سن سبع سنين: «دع ابنك يلعب سبع سنين»[4].

ومن أقوال وآراء المفكرين الإسلاميين يتبين بوضوح سبقهم للكثير من التربويين المحدثين الذين وعوا برامج رياض الأطفال من أمثال كومينوس (1592 ـ

---

(1) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(2) ابن مسكويه (أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب الملقب مسكويه أو ابن مسكويه، ولد عام 320هـ): تهذيب الأخلاق. تحقيق قسطنطين زريق (الجامعة الأمريكية، بيروت، 1966) ص. ص 70 ـ 71.

(3) هو أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولد عام 80هـ وتوفي عام 148هـ.

(4) محمد تقي فلسفي: **الطفل بين الوراثة والبيئة**، تعريف فاضل الحسين الميلاني، جـ (1)، ط 3 (مؤسسة الأعلمي، بيروت، د. ت.) ص 75.

نقلاً من: علي خليل مصطفى أبو العينين: الاهتمامات التربوية في فكر جعفر الصادق، منشور في كتاب. من أعلام التربية العربية الإسلامية، المجلد الأول (مكتب التربية العربية لدول الخليج، الرياض، 1988) ص 111.

1670م) الذي هو أول من فكر في إنشاء مدارس الصغار. وكذلك فروبل (1782 ـ 1852م) الذي يقال إنه منشئ رياض الأطفال[1].

ويتبين كذلك أن المفكرين الإسلاميين تبينوا أن الطفل عندما يلعب فإنه يندمج فيه بكل حواسه، ولا ينتبه إلى تعبه، ولذا لا بد من إتْبَاع أوقات اللعب بأوقات راحة حتى يستعيد نشاطه، ويتناول خلالها الطعام الخفيف، وهذه النقطة أشار إليها علماء النفس المعاصرون[2].

6 ـ آداب الطعام والشراب:

أوجب الإسلام على الوالدين أن ينفقا على عيالهما رزقاً طيباً حلالاً، وأن يتعهدوهم بالأدب في تناول الطعام والشراب، وفي كل شيء. وقد فصلت السنة المطهرة هذه المواضع من الآداب، بحيث لم تترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصتها، ووجهت أنظار المربين والأبوين إليها، لكي ينشأ أفراد المجتمع نشأة إسلامية، ويتطبعوا بها من صغرهم، يقول رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء» ثم قال أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم «فطرة الله التي فطر الناس عليها»[3].

ومن ذلك يأتي دور الآباء، والأمهات في تدعيم وغرس القيم والاتجاهات والعادات الإسلامية، وبخاصة في مرحلة الطفولة الأولى التي تتشرب بسرعة هذه القيم والاتجاهات فتثبت عليها في الكبر.

ويبدأ الباحث بعرض ما جاء في آداب الطعام ثم آداب الشراب، من خلال الأحاديث.

---

(1) وهيب سمعان: **دراسات في التربية المقارنة** (النهضة المصرية، القاهرة، 1965م) ص 207 وما بعدها.

(2) انظر جابر عبد الحميد جابر: **علم النفس التربوي**، مرجع سابق، ص. ص 104 ـ 105.

(3) مسلم: جـ8، ص 52.

(أ) آداب الطعام:

ومن هذه الآداب: ضرورة غسل اليدين قبل الطعام وبعده، لما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده»[1]، وورد أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال: قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أحب أن يكثر الله خير بيته فليتوضأ إذا حضر غذاؤه وإذا رفع»[2].

ومن الآداب: التسمية في أوله والحمد في آخره، لما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى، فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله فليقل: باسم الله أوله وآخره»[3]. ومن السنة أن يحمد الله على الأكل ويقول: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين».

ومن الآداب: ألا يعيب طعاماً قدم إليه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط: إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه»[4].

ومن الآداب: أن يأكل مما يليه وبيمينه، فقد روي عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصفحة، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام سَمِّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك، فما زالت طعمتي بعد»[5].

ومن الآداب: ألا يقعد للأكل متكئاً، فقد ورد أن رسول الله ﷺ قال: «لا آكل متكئاً»[6].

ومن الآداب: الدعاء لمضيفه عندما يفرغ من الطعام، فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ جاء إلى سعد بن عبادة، فجاء بخبز وزيت فأكل، ثم قال

---

(1) أبو داود، جـ3، ص 338.

(2) رواه ابن ماجة والبيهقي، مذكور في عبد الله علوان، جـ1.

(3) أبو داود، جـ 3، ص 407.

(4) البخاري: كتاب الأطعمة، جـ 7، ص 96.

(5) البخاري: كتاب الأطعمة، جـ7، ص 88.

(6) البخاري: كتاب الأطعمة، جـ7، ص 93.

النبي ﷺ: «أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة»[1].

ومن الآداب: ألا يضع يده في الطعام ويوجد من هو أكبر منه سناً أو مقاماً فعن حذيفة رضي الله عنه قال: كنا إذا حضرنا مع رسول الله طعاماً لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده[2].

ومن الآداب: الحفاظ على الطعام ولو قل. فعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أكل طعاماً لَعِقَ أصابعه الثلاث، وقال: إذا سقطت لقمة أحدكم فليأخذها وليمط عنها الأذى، وليأكلها، ولا يدعها للشيطان، وأمرنا أن نسلت القصعة، وقال: «إنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة»[3].

(ب) آداب الشراب:

استحباب التسمية والحمد والشرب ثلاثاً، فجاء في الحديث: «لا تشربوا واحداً كشرب البعير، ولكن اشربوا مثنى، وثلاث، وسموا إذا أنتم شربتم، واحمدوا إذا أنتم رفعتم»[4].

ومن الآداب ألا ينفخ في الشراب، ففي الحديث: «إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء»[5].

ومن الآداب، النهي عن امتلاء المعدة بالأكل والشراب: ففي الحديث «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان فاعلاً، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه وثلث لنفسه»[6].

---

(1) رواه أبو داود والترمذي، مذكور في عبد الله علوان، جـ1.

(2) رواه مسلم، مذكور في عبد الله علوان، جـ1.

(3) رواه مسلم، جـ6، ص 114.

(4) رواه الترمذي.

(5) البخاري، كتاب الأشربة، جـ7، ص 146.

(6) الترمذي، جـ9، ص 224.

وعنه أنه قال: «يأكل المسلم في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء»[1]. وقال رسول الله ﷺ: «طعام الاثنين كافي الثلاثة، وطعام الثلاثة كافي الأربعة»[2]. وفي طلب القناعة في الأكل. وورد عنه أنه قال: «تنزل البركة وسط الطعام فكلوا من حافتيه، ولا تأكلوا من وسطه»[3].

هذه هي بعض آداب الطعام والشراب كما علمها لنا رسول الله ﷺ وهو قدوة لنا، علينا أن نتأسى به في كل خطوة وفي كل فعل، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[4]. وأيضاً: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[5].

وبعد هذا التفصيل للسنة المطهرة نأتي لبعض المفكرين الإسلاميين وما قالوه في آداب الطعام والشراب.

فجاء على لسان الإمام الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين) موجهاً خطابه إلى الآباء، والأمهات، بأن يعرفوا الطفل الطريق المستقيم في تناول الطعام والمشاركة فيه، فعليه أن يأكل مما يليه، وألا يبادر إلى الطعام قبل غيره، وألا يحدق النظر إليه، ولا إلى من يأكل، وألا يسرع في الأكل وأن يجيد المضغ وألا يوالي بين اللقم، ولا يلطخ يده ولا ثوبه[6].

وابن مسكويه يمدنا بأقواله في هذا الموضوع، فيرى أن الطعام، يؤخذ للصحة لا للذة، وأخذ الأغذية على اختلافها، لتصح بها الأبدان، فهي مادة حياتنا، وقد شبه الطعام بالدواء، فقال: «كما أن الدواء لا يرام للذة، ولا يستكثر منه للشهوة، فكذلك الأطعمة ما ينبغي أن يتناول منها إلا ما يحفظ صحة البدن، ويدفع ألم الجوع، ويمنع من المرض، فيحقر عنده قدر الطعام الذي يستعظمه أهل الشره»[7].

---

(1) البخاري: كتاب الأطعمة، جـ7، ص 92.

(2) البخاري: كتاب الأطعمة، جـ7، ص 92.

(3) رواه أبو داود والترمذي. الشيباني: تيسير الوصول، جـ3، ص 112.

(4) سورة الحشر، آية: 7.

(5) سورة القلم، آية: 4.

(6) الغزالي: إحياء علوم الدين، مرجع سابق، جـ3، ص 63.

(7) مسكويه: تهذيب الأخلاق، مرجع سابق، ص . ص 71 ـ 72.

وأما عن آداب الطعام عند الاجتماع مع الأهل والأصدقاء، فيرشد: «ألا يديم النظر إلى ألوانه، ولا يحدق إليه شديداً، ويقتصر على ما يليه، ولا يسرع في الأكل، ولا يوالي بين اللقم بسرعة، ولا يعظم اللقمة ولا يبتلعها حتى يجيد مضغها، ولا يلطخ يده ولا ثوبه، ولا يلحظ من يؤاكله، ولا يتبع بنظره مواقع يده من الطعام، ويعود أن يؤثر غيره بما يليه إن كان أفضل ما عنده، ثم يضبط شهوته حتى يقتصر على أدنى الطعام وأدونه...»[1].

ثانياً ـ التربية الاجتماعية:

يرى علماء النفس في مرحلة الطفولة المبكرة أنها مزيج من الاستقلال وعدم الاستقلال في السلوك الشخصي والاجتماعي، فالصغير الآن يشعر بأنه شخصية تكاد تكون مستقلة، لها عاداتها وذاتها، ووجودها المستقل عن الآخرين، وباستطاعته أن يستمع لأحاديث الكبار، ويعلق عليها تعليقاته الخاصة. بالإضافة إلى أنه يستطيع أن يمشط شعره بنفسه، ويختار أنواع الأطعمة التي تروق له، كما أنه يحاول أن يساعد أمه في تنظيم المائدة[2].

أما بالنسبة للعبه، فهو لم يعد راغباً في اللعب في أدواته، بل إنه يتجه إلى مشاركة الآخرين في لعبهم. ويتسم الطفل في هذه السن بالمرونة الاجتماعية، فهو قادر على اللعب مع معظم الأطفال الآخرين، ويميل الأولاد والبنات إلى اختيار أصدقائهم من نفس الجنس[3]. وجماعات اللعب تميل إلى أن تكون صغيرة وليست منظمة تنظيماً كبيراً، وخلالها يتجه الطفل إلى محاولة السيطرة على الآخرين، مما يدل على أن قدرته على اللعب مع الآخرين لا زالت محدودة.

هذه هي أهم الملامح العامة لطفل ما قبل المدرسة من وجهة نظر علماء النفس المعاصرين، وللإسلام شأنه، كذلك، في رعاية الطفل اجتماعياً في هذه المرحلة.

---

(1) مرجع سابق، نفس الصفحات.

(2) أحمد زكي صالح: علم النفس التربوي، مرجع سابق، ص 120.

(3) جابر عبد الحميد جابر، علم النفس التربوي، مرجع سابق، ص. ص 109 ـ 117.

فعلى الآباء والأمهات يقع عبء المسؤولية الأولى في رعاية وتربية أولادهم، وفي هذا يقول الرسول ﷺ: «ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على أهل بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»[1].

فالبيت المسلم يغرس في نفوس أفراده منذ طفولتهم المبكرة الإيمان الصحيح والسلوك الإسلامي الرشيد، ويربيهم على حب الفضائل وبغض الرذائل، ويرشدهم إلى الخير ويباعد بينهم وبين الشر، وهو الذي يمدهم بالقيم الاجتماعية التي يحترمونها، ويعملون على هداها[2].

وبهذا الأسلوب يحتل الأبوان مكانة هامة في حياة الطفل خاصة في سنواته الأولى، حيث تكون طبيعته أكثر قابلية للتشكيل والمرونة. وإلى هذا المعنى أشار الرسول الكريم في قوله: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء»[3].

وهكذا تقع مسؤولية تطبيع الطفل اجتماعياً على كاهل والديه، ويتم هذا التطبيع بصور ووسائل شتى، يمكن توضيح بعضها:

1 ـ التعامل بالرحمة مع الأبناء:

فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: «دخلت علي امرأة ومعها ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة فأعطيتها إياها، فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها ثم خرجت، فدخل علي رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن، كن له ستراً من النار»[4].

---

(1) مسلم، جـ 8، ص 8.

(2) علي عبد الحليم محمود: المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي (دار المعارف القاهرة، 1976) ص 45.

(3) مسلم، جـ 8، ص 52.

(4) البخاري بحاشية السندي: جـ4، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ص 51.

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه، ويقعد الحسن على فخذه الأخرى، ثم يضمهما ثم يقول: «اللهم ارحمهما فإني أرحمهما»[1].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: تقبلون الصبيان فما نقبلهم. فقال النبي: «أو أملك إن نزع الله من قلبك الرحمة»[2].

وعن أنس: «أخذ النبي ﷺ إبراهيم فقبله وشمه»[3].

وعن بُرَيْرَة، قالت: كان النبي ﷺ يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ عن المنبر فحملها ووضعهما بين يديه ثم قال: «صدق الله: إنما أموالكم وأولادكم فتنة. نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما»[4].

وهذه أمثلة من كثير في السنة المطهرة تحدد لنا أسلوباً هاماً لسلوك الوالدين تجاه أولادهم، فبالترحمة والعطف على الأبناء، يشبون أسوياء، رحماء في معاملاتهم على من دونهم. يقول رسول الله ﷺ: «الراحمون، يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[5]. ويقول أيضاً: «من لا يَرْحَم لا يُرْحَم»[6].

2 ـ معاملة الأطفال بالرفق واللين في غير إسراف:

وقد وصف الله تعالى نبيه الكريم بأنه لين الجانب، حسن المعاملة للمؤمنين: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[7]، وفي الأحاديث

---

(1) البخاري بحاشية السندي: جـ4، باب وضع الصبي على الفخذ، ص 52.

(2) البخاري بحاشية السندي: جـ4، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ص 51.

(3) البخاري بحاشية السندي: جـ4، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ص 50.

(4) أخرجه الترمذي، ومذكور في (ناصف، جـ3، ص 359).

(5) الترمذي: جـ 8، ص 111.

(6) البخاري بحاشية السندي: جـ4، باب رحمة الناس والبهائم، ص 53.

(7) سورة آل عمران، آية: 159.

ما يؤكد هذه الصفة، فقد قال رسول الله ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»[1].

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه»[2]، وعن عائشة أن النبي ﷺ «وضع صبياً في حجره يحنكه فبال عليه، فدعا بماء فاتبعه»[3]، ولم يتضايق منه، وعن «أبي قتادة قال خرج علينا النبي ﷺ وأمامة بنت أبي العاص (على عاتقه) فصلى، فإذا ركع وضعها وإذا رفع رفعها»[4].

ومعاملة الوالدين لأولادهم بالرفق واللين، يجب أن لا تزداد عن الحد الطبيعي، فيكون الطفل بؤرة اهتمام والديه، وتجاب له جميع مطالبه. ويدخل في مجال الأطفال المدللين: الطفل الوحيد، والطفل البكر، والطفل الأخير، والطفل الذي يحمل عاهة من العاهات، والطفل الذكر بالنسبة لأخواته البنات في كثير من البيئات. ويشير رسول الله ﷺ إلى ضرورة العدل بين الأولاد وعدم التفرقة بينهم حتى في تقبيلهم والعطف عليهم. قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب أن تعدلوا بين أولادكم حتى في القُبَل»[5]، وعن النعمان بن بشير أن أباه نحل ابناً له غلاماً، فأتى النبي ﷺ يشهده، فقال: «أكل ولدك نحلته مثل ما نحلت هذا؟» قال: لا، قال: «فارددده»[6].

وروى الطبراني وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «ساووا بين أولادكم في العطية»[7].

3 ـ إتاحة فرص اللعب الجماعي:

فأطفال هذه المرحلة، وخاصة في سن الرابعة والخامسة، يعتبر اللعب بالنسبة لهم وسيلة لعملية التطبيع الاجتماعي والاندماج في المجتمع، بمختلف دوائره

---

(1) شرح مسلم، النووي: ص 422.

(2) مسلم: جـ8، ص 22.

(3) البخاري بحاشية السندي: جـ4، باب وضع الصبي في الحجر، ص 52.

(4) البخاري بحاشية السندي: جـ 4، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ص 51.

(5) المتقي الهندي: كنز العمال، جـ6، ص 434.

(6) الترمذي، الأحكام، باب ما جاء في النحل والتسوية بين الولد، جـ 6، ص 126.

(7) عبد الله علوان: مرجع سابق، ص 331.

(الأسرة، الرفاق في الحضانة ورياض الأطفال، الجيران، والأقارب). وترى الأطفال يتجهون إلى اللعب لا للتسلية فحسب بل لمحاولة اكتساب المزيد من المعارف والمهارات، وكثيراً ما تجدهم منهمكين في اللعب بدرجة كبيرة، ويغضبون عند محاولة الكبار منعهم من الاستمرار في اللعب.

وقد مر بنا في التربية الجسمية أن السنة المطهرة قد أكدت على ضرورة إتاحة الفرص للأطفال للعب وبكافة أنواعه، وعدم منعهم منه، ونذكر هنا فقط حديثاً شريفاً يرتبط مباشرة بهذا الموقف، وهو:

مر رسول الله على صبيان وهم يلعبون بالتراب فنهاهم بعض أصحاب النبي ﷺ، فقال: «دعهم فإن التراب ربيع الصبيان»[1].

هذه هي بعض الأساليب التي يوجه إليها نظر الآباء لمعاملة أولادهم في مرحلة ما قبل المدرسة. ولكن هناك شيء هام في حياة الطفل الاجتماعية له دوره في بنائه الاجتماعي، وهو التفاعل مع الآخرين: ونقصد بالآخرين هنا، الأم، والأب، والإخوة والرفاق، لما لدورهم من أهمية في حياة الطفل.

فالأم يبدأ دورها في تربية الطفل «حين تغذيه باللبن، وتغذيه أيضاً بالعواطف والعلاقات الاجتماعية، ثم بالمعاني والألفاظ والأفعال، أي إنها تغذيه بالمحتوى الثقافي للمحيط العائلي»[2]، والأم هي «نقطة انطلاق الطفل وحجر الزاوية في تطور نموه، وهي بالنسبة له، المعين الأول لكل ما قد يحس به من حاجة»[3]. ويؤكد رسول الله ﷺ على منزلة الأم في الحديث، عندما جاءه رجل فقال: «يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك. قال ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال ثم من؟ قال: أبوك»[4].

---

(1) الهيثمي، مجمع الزوائد، جـ8، ص 159.

(2) محمد فاضل الجمالي: **تربية الإنسان الجديد** (الشركة التونسية للتوزيع، 1967).

(3) فوزية دياب: **نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة** (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1978) ص 124.

(4) البخاري: **كتاب الأدب**، جـ8، ص 2.

ويكتمل دور الأم بقيام الأب بدوره في توفير الأمن النفسي والمادي للأسرة بما فيها من الأولاد.

وبعد ذلك يأتي دور الإخوة «ذلك لأنهم يؤلفون مع الأم الميدان الاجتماعي الأول الذي يحتويه (أي طفل)، والذي يكون أساس خبراته الاجتماعية وتجاربه وطرق سلوكه»[1].

وفي الحديث الشريف ما يؤكد على البر بالإخوة ووصلهم حرصاً على حفظ كيان الأسرة وتلاحم أعضائها وتكافلهم في السراء والضراء.

وفي الحديث يقول رسول ﷺ: «من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه»[2]. وفي حديث آخر رواه أبو داود أن كليب الحنفي أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أبر؟ قال: «أمك، وأباك، وأختك وأخاك، ومولاك الذي يلي ذلك حقاً واجباً ورحماً موصولة»[3].

ـ مراعاة الطفل اليتيم في الإسلام:

ونقطة هامة وأخيرة أشار لها الإسلام، بخاصة، وهي فقد **الطفل** لأحد أبويه أو فقدهما معاً، أي **الطفل** اليتيم. فإن الإسلام لم ينسه ووضع له القوانين التي تحفظ حقه في الحياة الحرة الكريمة والرعاية من أفراد المجتمع جميعاً.

قال تعالى: ﴿... وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ﴾[4]. ويقول تعالى في شأن رعاية أموالهم وحقوقهم: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۚ﴾[5] ويؤكد الله هذا المعنى ويشدد عليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا

---

(1) فوزية دياب: مرجع سابق، ص 130.

(2) مسلم: جـ8، ص 8.

البخاري، جـ4، باب صلة الرحم، ص 49.

(3) الشيباني، تيسير الوصول، جـ1، مرجع سابق، ص 45.

(4) سورة البقرة، آية: 220.

(5) سورة النساء، آية: 2.

﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[1]. وفي سورة الأنعام يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾[2]. وقرن الله تعالى الذي يزجر اليتيم وينهره بالشخص الذي يكذب بالدين، قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾[3] وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾[4].

ومن أحاديث الرسول ﷺ بشأن حضه على كفالة اليتيم، وأمره بوجوب رعايته، والإحسان في الوصاية عليه.

* روى الترمذي أنه عليه الصلاة والسلام قال: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى»[5].

* روى الإمام أحمد وابن حبان عن النبي ﷺ أنه قال: «من وضع يده على رأس يتيم رحمة، كتب الله له بكل شعرة مرت على يده حسنة»[6].

وبذلك يستطيع اليتيم أن يأمن على نفسه وعلى ماله، وهو في صغره، وفي يفعه.

ثالثاً ـ التربية الوجدانية:

يرى بعض الباحثين أن مجال «التربية الوجدانية» لم يحظ باهتمام الباحثين في الدراسات التربوية الإسلامية مثلما حدث في «التربية العقلية» و«التربية الأخلاقية» و«التربية الاجتماعية» و«التربية الجسمية»، وأرجع ذلك إلى عدم التحديد الواضح للمقصود من «الوجدان»[7].

---

(1) سورة النساء، آية: 10.

(2) سورة الأنعام، آية: 152.

(3) سورة الماعون، آية: 1 ـ 3.

(4) سورة الضحى، آية: 9.

(5) البخاري بحاشية السندي: جـ4، باب فضل من يعول يتيماً، ص 52.

(6) عبد الله علوان: المرجع السابق، نفس الصفحة 338.

(7) عبد البديع عبد العزيز: التربية الوجدانية في القرآن والسنة منشور في: الفكر التربوي العربي الإسلامي، الأصول والمبادئ (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987) ص 498.

وفي محاولة لتحديد معنى «مصطلح الوجدان» وضع مجمع اللغة العربية بالقاهرة هذا التعريف: يطلق الوجدان في الفلسفة أولاً على إحساس أولي باللذة أو الألم، وثانياً على ضرب من الحالات النفسية من حيث تأثرها باللذة أو الألم في مقابل حالات أخرى تمتاز بالإدراك والمعرفة[1]. وفي معاجم علم النفس يأتي مصطلح الوجدان بمعنى المشاركة الوجدانية أو التعاطف أو الشعور مع الغير[2].

وعلى ذلك فإن التربية الوجدانية تشمل الانفعالات والعواطف والاتجاهات والميول وغيرها. وإذا ما خصصنا القول وتساءلنا عن أهم المظاهر الوجدانية (الانفعالية) لطفل ما قبل المدرسة؟ فسوف يتضح أن «أهم ما تتميز به هذه المرحلة من الناحية الانفعالية هو العنف وشدة التأثر، وعدم الاستقرار، فنوبات الغضب إلى حد التشنج والعدوان، والخوف إلى حد الابتهاج والنشوة»[3] ثم يصاحب ذلك تغير في نوع الانفعال، فهو ينتقل من البكاء والحزن إلى الفرح، ومن الخوف إلى الطمأنينة. والخلاصة أن طفل السنة الثالثة يتميز بقوة انفعالاته والانتقال من انفعال إلى آخر[4].

وفي محاولة لتفسير هذه المظاهر الانفعالية، فقد أرجعها بعض الباحثين إلى عاملين[5]:

الأول - يتصل بطبيعة الطفل في هذه المرحلة:

فالطفل يتميز هنا باعتماده كلية على من حوله من الكبار، رغم ما يظهره من استقلالية. ولذلك فهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، بمعنى أنه لا يملك من القوة، أو من الحيل، أو الوسائل، ما يدفع به الضر عن نفسه إذا وقع الضر. فهو من

---

(1) مجمع اللغة العربية: **الوسيط**، جـ2ـ القاهرة، 1960، ص 1024.

(2) محمد علي الخولي، **قاموس التربية** (دار العلم للملايين، بيروت، 1981).

(3) محمد عماد الدين إسماعيل: **الأطفال مرآة المجتمع** (النمو النفسي والاجتماعي للطفل في سنواته التكوينية، **علم المعرفة**، الكويت، العدد (99)، مارس 1986، ص 243.

(4) أحمد زكي صالح: **علم النفس التربوي**، مرجع سابق، ص 122.

(5) محمد عماد الدين إسماعيل: **الأطفال مرآة المجتمع**، مرجع سابق، ص 244.

الناحية الجسمية لا يمكنه أن يطاول العمالقة الكبار من المحيطين به، عندما يمسكون به، ويدفعونه في الهواء، أو يهددونه بطريقة أو بأخرى. ومن الناحيتين العقلية والانفعالية، فالطفل هنا ما زال يعتمد في تفكيره على خبرته الذاتية، والتي تتسم بالمحدودية وعدم الموضوعية (إقامتها على أسس منطقية معقولة)، ويترتب على ذلك معاناة الطفل للحيرة والتخبط في قراراته وتصرفاته.

الثاني ـ يتصل بموقف الوالدين[1]:

والذي يتمثل ـ غالباً ـ في أنهما يعاملانه كما لو كان راشداً، في الوقت الذي عليه أن يميز أو يفهم التعليمات الموجهة إليه، أو يستطيع أن يسيطر على الدوافع القوية التي تواجهه. إنهما يتوقعان منه في أغلب الأحيان أن يميز الأشياء التي لم يتعلم أن يميزها، وأن يتعلم عادات ويتقنها في محاولة واحدة، وفي مقابل ذلك يجد العقاب بمختلف صوره، جزاء فشله في أقل الأخطاء وأبسطها وقد يقف الطفل في حيرة عندما يقوم الآباء ـ في كثير من الأحيان ـ بخلق جو من البلبلة عندما يجذب الوالد طفله إليه في عطف وود، ثم بعد ذلك، وبسبب ما، يدفعه عنه بعيداً في نفور. وأيضاً فإن الطفل يكون حساساً بشكل خاص للعلاقة العاطفية بينه وبين والديه، وبالتالي عندما يقع الطفل في خطأ ما، فإن الأبوين، عادة، ما يتسرعان في هدم هذه العلاقة العاطفية بالتهديد أو الضرب المؤذي، وكان يكفي الطفل مجرد نظرة أو عتاب رقيق كوسيلة لمساعدته على تعديل سلوكه.

ونتيجة لتفاعل هذين العاملين معاً، فإن طفل هذه المرحلة غالباً ما تتسم انفعالاته بالحدة والشدة.

ويمكن أن نتوقف قليلاً عند هذه النقطة للتعرف على ما جاء بالسنة النبوية بشأن حدة انفعالات طفل هذه المرحلة.

فرسول الله ﷺ أشار إلى ضرورة انتهاج أسلوب العطف والود والرحمة خلال تعامل الوالدين مع أولادهما، حتى يوفروا لهم حالة نفسية متزنة لا تشوبها الانفعالات الحادة بقدر المستطاع.

---

(1) المرجع السابق، ص.ص 246 ـ 247.

* فعن عائشة أن النبي ﷺ «وضع صبياً في حجره ـ يحنكه فبال عليه، فدعا بماء فأتبعه»[1] فلم يتضايق الرسول ﷺ من الطفل ولم يفزعه.

كما أنه عليه السلام لم يوص بضرب الأطفال بشدة أو معاقبتهم في غير موضع خطأ، بل دعا إلى الرفق واللين في المعاملة.

* قال رسول الله ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه. ولا ينزع من شيء إلا شانه»[2].

* وقال عليه السلام لعائشة: «يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه»[3].

وبهذه المعاملة من الوالدين يمكن تقليل حدة انفعالات الطفل، ونؤمن له حياة نفسية واجتماعية سعيدة، بعيدة عن العصبيات والعقد النفسية التي تبدأ في التكوين في هذه المرحلة من النمو، وتبقى معه حتى سن الرشد وتظهر في شكل أمراض نفسية صعبة العلاج.

وبعد وصف الحالة الوجدانية بصفة عامة لطفل ما قبل المدرسة، وما يعتريها من تقلبات انفعالية، فإن الأمر يتطلب شرح بعض صور الانفعالات السائدة في هذه المرحلة. ومن هذه الصور:

1 ـ الخوف.

2 ـ نوبات الغضب.

ونبدأ بالمظهر الأول للانفعالات:

1 ـ الخوف:

«من أهم المظاهر الانفعالية لهذه الفترة هي ما قد يعانيه الأطفال من مخاوف. ذلك أنها يمكن أن تكون أكبر عائق يقف في سبيل نموهم الصحي السليم. وللآباء تأثير كبير في هذه الناحية. فبالرغم من أن بمقدورهم أن يساعدوا أطفالهم على

(1) البخاري بحاشية السندي، جـ4، باب وضع الصبي في الحجر، ص 52.

(2) النووي: ص 422.

(3) مسلم: جـ8، ص 22.

التغلب على مخاوفهم، إلا أنه في الوقت نفسه يكون لهم دور سلبي باعتبارهم مصدراً أساسياً لتلك المخاوف»[1].

ويعرف الخوف بأنه: «حالة انفعالية داخلية طبيعية يشعر بها الإنسان في بعض المواقف ويسلك فيها سلوكاً يبعده عادة عن مصدر الضرر»[2]. وهذا الخوف ينشأ عن استعداد فطري أوجده الخالق في الإنسان لحكمة تتعلق بصالح الكائن الحي، فالخوف هو الذي يدفعنا لحماية أنفسنا من الخطر.

ويقسم علماء النفس الخوف إلى ثلاثة أنواع، توجد لدى الجميع بدرجات متفاوتة: الخوف الواقعي، والقلق، والخوف المرضي (الفوبيا)[3]. والخوف الواقعي، وهو أكثرها تحديداً، هو عبارة عن استجابة لخطر حقيقي كحيوان مفترس أو سيارة مسرعة، أما القلق فهو خوف من المجهول، أي إن موضوعه لا يكون محدداً أو واضحاً بشكل محسوس، وأما الخوف المرضي فمثيراته محددة وواضحة إلا أنها لا تعتبر في طبيعتها مصدراً للخطر، كالخوف من الظلام، أو الأماكن المغلقة أو بعض الحيوانات الأليفة.

إن معظم هذه المخاوف مكتسب، فالأطفال لا يولدون «خوافين»، بل إنهم يتعلمون ذلك الخوف، وحيث إن معظم التعليم يكتسبه الأطفال من المنزل، فلا غرابة، في القول بأن الأطفال يبدون استعداداً قوياً لالتقاط مخاوف آبائهم، عن طريق العلم بالمشاهدة. والمخاوف التي تكتسب عن هذا الطريق تمتاز بطول بقائها، فإذا كانت الأم مثلاً تخاف من الكلاب، فإنه سيكون من الصعب عليها أن تنصح ابنها أو بنتها بأنه لا يوجد هناك ما يوجب خوفهما من الكلب[4].

---

(1) محمد عماد الدين إسماعيل: **الأطفال مرآة المجتمع**، مرجع سابق، ص 248.

(2) معروف زريق: **كيف نربي أبناءنا**، مرجع سابق، ص 40.

(3) محمد عماد الدين إسماعيل: مرجع سابق، ص 248.

(4) راجع:

* محمد عماد الدين إسماعيل: **الأطفال مرآة المجتمع**، مرجع سابق، ص. ص 250 ـ 252.
* أحمد عزت راجح: **أصول علم النفس**، مرجع سابق، ص. ص 95 ـ 97.
* معروف زريق: **كيف نربي أبناءنا**، مرجع سابق، ص 41.

وتوجد أيضاً علاقة وطيدة بين قلق الأطفال (إحدى حالات الخوف) والمعاملة الوالدية. فعند ما تصبح مطالب الوالدين من أطفالهم أعلى مما يستطيع الأطفال أداءه، أو عندما يُقَيِّمون ما ينجزه أطفالهم بالسلبية المستمرة، أو عندما تكون معاملتهم إياها تتسم بالتذبذب وعدم الاستقرار، أو عند ما يسرف الوالدان في العقاب البدني، فعند ذلك يكون احتمال إصابة الأبناء بالقلق احتمالاً كبيراً.

وقد تتعارض أساليب التربية والمطالب التي يفرضها الكبار على الصغار مع تصرفاتهم هم أنفسهم، فيعاني الطفل من جراء هذا قلقاً متزايداً، وتتعرض شخصيته للضرر والانحراف، ومن ثم فإن التناسق بين أساليب التربية والتهذيب المختلفة مع القدرة في بيئة الطفل، أمر بالغ الأهمية لنشأة الطفل وتكامل شخصيته[1].

والآباء قد يكون لديهم بعض الأعذار في سوء معاملة أولادهم، والتي قد ترجع إلى الظروف الاجتماعية والثقافية، والتي منها: عدم التوافق بين الزوجين، والظروف السكنية السيئة، وعمل الزوجين، والجهل بقواعد التربية، وزيادة عدد الأبناء مع إهمال الرعاية، والظروف المهنية التي تساعد على عدم الرضا عن العمل، كل ذلك يؤدي إلى أن يصب الآباء جام غضبهم على كبش الفداء وهو الطفل[2].

وقد حرص الإسلام ممثلاً في مصادره الأساسية (القرآن الكريم والسنة) على توجيه الوالدين إلى حسن رعاية أولادهم ووقايتهم من كل ما يؤثر فيهم وعليهم من أمراض جسمية أو نفسية:

---

(1) نجيب اسكندر إبراهيم وآخرون: **قيمنا الاجتماعية وأثرها في تكوين الشخصية** (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1962) ص 32.

(2) راجع:

* محمد عماد الدين إسماعيل: **الأطفال مرآة المجتمع**، مرجع سابق، ص 255.
* محمد عماد الدين إسماعيل، نجيب إسكندر، رشدي فام منصور: **كيف نربي أطفالنا: التنشئة الاجتماعية للطفل في الأسرة العربية**، (دار النهضة العربية، القاهرة، 1974).
* عبد الفتاح القرشي: حوليات كلية الآداب، الحولية السابعة الرسالة (35)، جامعة الكويت، 1986.

قال رسول الله ﷺ: «ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته...، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم،...»[1].

وانفعال الخوف من الانفعالات التي تؤثر على صحة الأطفال النفسية، خاصة وإن الوالدين لهما دور كبير لارتباطهما المباشر والمستمر مع أطفالهم في مرحلة الطفولة المبكرة وما قبلها.

وقد تبين أن الأطفال يكتسبون الخوف من آبائهم، ولذا فإن السنة النبوية، أشارت إلى دور القدوة الحسنة في تربية الأطفال ـ بصفة خاصة ـ والكبار بصفة عامة. ولنا في رسول الله قدوة حسنة في كل أفعاله مصدقاً لقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[2]. والقدوة الحسنة التي نتمثلها هنا، هي القدوة في الشجاعة في كل المواقف على اختلافها، وعدم الخوف من الحيوانات التي لا تضر وبدون داع، وكذلك الأفراد وإن علوا مكانتهم ـ في الحق بالطبع. والأحاديث كثيرة في هذا المجال، تؤكد على هذه الأمور الهامة في تربية الطفل:

* يقول سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه. «كنا نعلم أولادنا مغازي رسول الله ﷺ كما نعلمهم السورة في القرآن»[3].

* وعدم إخافة الطفل من الغول والضبع، والعسكري، والعفريت، يحرره من شبح الخوف وينشئه على الشجاعة والإقدام، وهذا كله يدخل في عموم القوة، التي أشار إليها رسول الله ﷺ في قوله: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان»[4].

---

(1) البخاري: جـ9، ص 77.

(2) سورة الأحزاب، آية: 21.

(3) عبد الله علوان: **تربية الأولاد في الإسلام**، مرجع سابق، ص 312.

(4) مسلم جـ8، ص 56.

ومن سير الخلفاء الراشدين:

* مر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، مرة في طريق من طرق المدينة، وأطفال يلعبون، وفيهم عبد الله بن الزبير وهو طفل يلعب، فهرب الأطفال هيبة من عمر، ووقف ابن الزبير ساكناً لم يهرب. فلما وصل إليه عمر قال له: لِمَ لَمْ تهرب مع الصبيان؟ فقال على الفور: لست جانياً فأفر منك، وليس في الطريق ضيق فأوسع لك[1].

* وكتب عمر بن الخطاب يوجه المسلمين إلى تعليم أولادهم على الشجاعة والمقاتلة،.. قال: «علموا أولادكم العوم، والرماية، ومروهم فليثبوا على الخيل وثباً، ورووهم ما جمل من الشعر، وخير خلق المرأة المغزل»[2]. فتأمل قوله: «فليثبوا على الخيل وثباً» يفيد نزع الخوف من قلوب الصبية وعدم تخويفهم بما عظم من الحيوانات.

ومن سير الصحابة والتابعين:

* قحطت البادية في أيام هشام بن عبد الملك، فقدمت عليه العرب فهابوا أن يتكلموا، وكان فيهم «ورداس بن حبيب» وهو إذ ذاك صبي، فوقعت عليه عين هشام، فقال لحاجبه: ما يشاء أحد يدخل علي إلا دخل حتى الصبيان؟. فقال الصبي: يا أمير المؤمنين: إنا أصابتنا سنون ثلاث: سنة أذابت الشحم، وسنة أكلت اللحم، وسنة نَقَّت العظم. وفي أيديكم فضول أموال، فإن كانت لله ففرقوها على عباده، وإن كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم، وإن كانت لكم فتصدقوا بها عليهم، فإن الله يجزي المتصدقين، ولا يضيع أجر المحسنين. فقال هشام: ما ترك لنا هذا الغلام في واحدة من الثلاث عذراً»[3]..

---

(1) عبد الله علوان، مرجع سابق، ص 305.

(2) محمد رواس قلعه جي: موسوعة فقه عمر بن الخطاب (مكتبة الفلاح، الكويت، 1401هـ - 1981م) ص 101.

(3) عبد الله علوان: مرجع سابق، 307.

فإذا كانت هذا هو موقف السنة النبوية وسير الصحابة والتابعين من تعليم وتربية الأولاد على الشجاعة وعدم الخوف، وكذلك جعل الآباء خير قدوة حسنة لأبنائهم، كما يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي «القدوة الحسنة من الأسرة والمدرسة هامة وخطيرة، ولكنها تفقد كل أهميتها وخطورتها إذا لم تتكامل معها مصادر التوجيه والإشعاع والاقتداء الأخرى»[1]، فإن الأمر يتطلب رعاية أكثر من الآباء في حالة القلق (النوع الثاني من الخوف) الذي قد يصيب الأطفال، ويرجع سببه إلى مجموعة عوامل متداخلة، عالجتها السنة النبوية بشيء من الدقة والروية.

ـ فقد يرجع سبب قلق الأطفال إلى تكليفهم ما لا يستطيعون أداءه:

* يقول رسول الله ﷺ: «يسروا ولا تعسروا، وسكنوا ولا تنفروا»[2].
* يقول رسول الله ﷺ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا، ويأمر بالمعروف، وينه عن المنكر»[3]. ومن الرحمة بالصغير هي تكليفه بما يطبق فعله.
* قال رسول الله ﷺ: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»[4] أي إن كل مرحلة عمرية، وكل قدرة إنسانية، لها من الأعمال ما يقابلها.
* وقال عليه الصلاة والسلام: «يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون»[5].

ـ وقد يرجع السبب لعدم إشباع الحاجة للنجاح لدى الأطفال (بأن يُقَيِّموا أعمالهم بالسلبية المستمرة)، وهنا حرصت السنة النبوية في تضميناتها التربوية على توجيه الآباء والمربين إلى تشجيعهم للأولاد على تحقيق أي مستوى أداء يحققونه تحفيزاً لهم على مزيد من الاهتمام.

---

(1) محمد متولي الشعراوي: **القضاء والقدر. معجزات الرسول، إعجاز القرآن، مكانة المرأة في الإسلام**، إعداد وتقديم أحمد فراج (دار الشروق، بيروت، 1979)ص 21.

(2) البخاري: جـ 8، ص 36.

(3) الترمذي، كتاب البر والصلة، **باب ما جاء في رحمة الصبيان**، جـ8، ص 109.

(4) مسلم: جـ 8، ص 47

(5) مسلم: جـ2، ص 188 ـ 189.

* عن علي رضي الله عنه قال: «ما سمعت رسول الله ﷺ يفدي أحداً غير سعد، سمعته يقول: «ارم فداك أبي وأمي» أظنه يوم أحد»[1].

وقال سعد، ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام[2].

- وقد يرجع سبب الإسراف في العقاب البدني والقسوة في المعاملة، وهنا عالجت السنة النبوية الأمر بالرحمة والرفق واللين في المعاملة:

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَبَّل رسول الله ﷺ (الحسن بن علي) وعنده (الأقرع بن حابس التميمي) جالساً، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله ﷺ: ثم قال: «من لا يَرْحم لا يُرْحم»[3].

* وعن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من يحرم الرفق يحرم الخير»[4].

* وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه»[5].

- وقد تعود الأسباب إلى بعض الظروف المعيشية (كعدم التوافق بين الزوجين، أو عمل الأم، أو عدم الرضا عن العمل) الصعبة التي تدفع الوالدين لصب غضبهم على أولادهم، وهنا يحذر الرسول ﷺ من الغضب.

* عن فضالة بن عبيد أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «المجاهد من جاهد نفسه»[6].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه. أن رسول الله ﷺ قال: «ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[7].

---

(1) البخاري: جـ8، ص 52.

(2) البخاري: جـ8، ص 22.

(3) البخاري بحاشية السندي: جـ4، باب رحمة الناس والبهائم، ص 53.

(4) مسلم: جـ8، ص 22.

(5) مسلم: جـ8، ص 22.

(6) الترمذي، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل من مات مرابطاً، جـ7، ص 123.

(7) البخاري: جـ8، ص 34.

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني. قال: «لا تغضب» فردد مراراً، قال: «لا تغضب»[1].

وبهذه النصائح يستطيع الوالدان كتم غضبهما وانفعالاتهما بقدر كبير، وتنفيسهما هذه الطاقة بعيداً عن أولادهما.

2 ـ نوبات الغضب:

«وهي من المظاهر الانفعالية الشائعة عند أطفال هذه المرحلة، ويؤكد (الأكلينيكيون) أن هذه النوبات هي شيء عام وطبيعي عند جميع الأطفال في هذه الفترة، بغض النظر عن الثقافة التي يعيشون فيها. ولا تعتبر هذه النوبات ذات صفة مرضية إلا حينما تكون عنيفة جداً، ومتكررة بشكل زائد وتأخذ فترة طويلة نسبياً»[2].

وأساليب التعبير عن انفعال الغضب قد تكون مباشرة تتجه إلى المثير نفسه بالاعتداء عليه بالأساليب البدائية كالضرب والعض، وقد تكون بالاعتداء على ممتلكاته وما يتصل به وذلك بالتدمير والإحراق والسلب، وقد يكون كذلك باللجوء إلى التهديدات والشتائم والنقد. وهناك أساليب غير مباشرة قد يتبعها الطفل خاصة في أواخر هذه المرحلة وبداية المرحلة التالية من النمو (طفل المدرسة الابتدائية) ونذكر منها: السرقة والكذب والهرب والاستغراق في النوم.

وفي كلتا الحالتين من الأساليب، يكون صاحبها ذا شخصية إيجابية وأما الشخصية السلبية (الأطفال الانطوائيين) فيلجأ صاحبها إلى الانطواء على النفس، والابتعاد عن الآخرين أو الإضراب عن الكلام أو الطعام وقد تصل نوبات الغضب إلى درجة شديدة كاحتقان الوجه واحتباس الكلام أو الإغماء أو كثرة البكاء وغير ذلك من الأساليب التي يلجأ إليها الطفل لا شعورياً للحصول على حاجاته المادية والمعنوية[3].

---

(1) البخاري: جـ8، ص 35.

(2) محمد عماد الدين إسماعيل: الأطفال مرآة المجتمع، مرجع سابق، ص 261.

(3) معروف زريق: كيف نربي أبناءنا، مرجع سابق، ص 57.

أما عن أسباب الغضب فمتعددة: فمنها ما يرجع إلى اتباع الوالدين لمعاملات غير عادلة بين أولادهم[1]، وكذلك التنافس بين الإخوة بالمنزل والقيود الموضوعة على حركة الطفل وتصرفاته وانفعالاته[2]، ومنها أيضاً ما يرجع إلى التدليل حيث يعتاد الطفل على إجابة جميع مطالبه بلا استثناء خاصة أثناء نوبة غضبه[3].

«وقد يكون الغضب صورة من الغضب عند الوالدين، حيث تحدث هذه الحالة إما بالتقليد (باعتبار الوالدين مثلاً أعلى للطفل) أو كرد فعل على غضب الوالدين وشجارهما أمام الطفل، وهو ما يجب على الأبوين تجنبه تماماً»[4].

ومن ذلك يتضح أنه ليس من السهل إعطاء تفسير واحد يوضح أسباب الغضب جميعاً، ولكن يمكن وضع القاعدة الأساسية التي تقف من ورائها، وهي: أن الإنسان تحركه دوافع تحمل طاقات قوية، وأن هذه الدوافع تتصارع فيما بينها، وإن سلوك الإنسان ما هو إلا نتاج لهذا الصراع[5].

ومواجهة حالات غضب الأطفال من الوالدين لها آثارها على نفسية الطفل. فعقاب الطفل أثناء نوبة الغضب قد يؤدي إلى عكس المطلوب، بل إن محاولات إسكات الطفل لا جدوى منها وقد تطيل مدة النوبة. فعلى الوالدين أن يستجيبوا لهذه الحالات بالهدوء، وبأن يقتربوا من الطفل ويتحدثوا إليه بصوت رقيق ناعم. كما أنه يمكن أن يؤخذ الطفل بالحزم والحنان في نفس الوقت، أو بصرف طاقته ومجهوده إلى موضوع آخر مع تجاهل نوبة الغضب[6].

هذا ما يقوله علماء النفس المعاصرون بشأن موضوع نوبات غضب الأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة. أما موقف الإسلام في معالجة هذه الظاهرة فيمكن تتبعه

---

(1) جابر عبد الحميد جابر: **علم النفس التربوي**، مرجع سابق، ص 119.

(2) محمد عماد الدين إسماعيل: مرجع سابق، ص 262.

(3) معروف زريق: مرجع سابق، ص 59.

(4) معروف زريق: مرجع سابق، ص. ص 59 ـ 60.

(5) المرجع السابق، نفس الصفحات.

(6) محمد عماد الدين إسماعيل: مرجع سابق، ص 263.

من معرفة الأسباب التي تكمن وراء الظاهرة وماذا جاء فيها من مصادر التربية الإسلامية.

ـ فقد ترجع نوبات الغضب إلى اختلاف الوالدين في معاملة أولادهم:

* قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب أن تعدلوا بين أولادكم حتى في القبل»[1].

* وروى الطبراني وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «ساووا بين أولادكم في العطية»[2].

* وروى أنس أن رجلاً كان عند النبي ﷺ فجاء ابن له فقبله وأجلسه على فخذه، وجاءت ابنة له فأجلسها بين يديه، فقال رسول الله ﷺ: «ألا سويت بينهما؟»[3].

* وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال: إني نحلت ابني هذا غلاماً كان لي. فقال رسول الله ﷺ: «أكل ولدك نحلته مثل هذا؟» فقال: لا قال: «اتقوا الله واعدلوا في أولادكم» «فرجع أبي فرد تلك الصدقة»[4].

ـ وقد ترجع إلى معاملة الطفل بالتدليل الزائد، بالاستجابة لجميع مطالبه، وهذا يجعل منه شخصاً غير قادر على تحمل المسؤولية في الكبر، وهذا يدخل في سمة المؤمن القوي.

* قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»[5]...

كما أن هذه المعاملة اللينة تجعل منه شخصاً يميل إلى الحياة السهلة الرغدة، بعيداً عن متاعب الحياة ومصاعبها ومشاكلها، ويصدق في هذا:

* روى الإمام أحمد وأبو نعيم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعاً أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والتنعم، فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين»[6].

---

(1) المتقي: كنز العمال، جـ6، ص 334.

(2) عبد الله علوان: مرجع سابق، جـ1، ص 331.

(3) المرجع السابق مباشرة، نفس الصفحة.

(4) مسلم، كتاب الهبات، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة.

(5) مسلم، جـ8، ص 56.

(6) عبد الله علوان، جـ1، مرجع سابق، ص 327.

وأيضاً مصداقاً لقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «علموا أولادكم العوم، ومُقَاتِلَتكم الرمي»[1] وأيضاً قوله لمسلمي أذربيجان: «أما بعد فاتَّزِرُوا وارتدوا وانتعلوا وألقوا الخفاف وألقوا السراويلات، وعليكم بثياب أبيكم إسماعيل، وإياكم والتنعم وزي العجم، وعليكم بالشمس، فإنها حمام العرب، وتَمَعْددوا واخشوشنوا، واقطعوا الركب، وانزوا على الخيل نزواً، وارتموا الأغراض»[2].

وهذا يمثل جانباً من توجيهات السنة النبوية في هذا الشأن.

رابعاً ـ تعليق عام:

تناولنا في هذا الفصل واجبات الآباء تجاه أبنائهم في مرحلة ما قبل المدرسة، وأوضحنا أن هذه المرحلة من أهم مراحل النمو نظراً لأن آثارها تمتد مع الفرد طوال حياته. وتفصيلاً لواجبات الآباء تجاه أبنائهم، فقد تناول الباحث ثلاثة أبعاد رئيسة تتم من خلالها العمليات التربوية. وهذه الأبعاد هي: الجسمي، والاجتماعي، والوجداني. أما الأبعاد الأخرى: العقلي، الحركي والروحي (الديني)، فقد ضَمَّنَ الباحث الجانب الحركي ضمن الجانب العقلي، فإن التعرف عليه وتحديده يعتبر من الأمور غير المستحبة في هذه المرحلة، ولذا فسوف يعالج هذا الجانب في المرحلة التالية. أما الجانب الروحي (الديني)، فسوف يعالجه الباحث في المرحلة التالية، نظراً لعدم وضوحه في هذه المرحلة، وأن الحاجة إليه تبدو في نهاية مرحلة ما قبل المدرسة ومرحلة المدرسة الابتدائية.

وبالنسبة للجانب الجسمي فقد عرض الباحث لخمس نقاط، تعرض علماء النفس المعاصرين لثلاث منها بالشرح والبحث العلمي وهذه النقاط الثلاث هي: الرضاعة، واللعب، وآداب الطعام والشراب، بالرغم من أن النقطة الخاصة بآداب الطعام والشراب جاءت سطحية في معظم الكتابات. أما التربية الإسلامية فقد تعرضت للنقاط الخمسة وزيادة، وهذه نقطة يجب إثباتها هنا.

---

(1) ابن قيم الجوزية: **الفروسية** (طبع بعناية السيد عزت العطار الحسيني) (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.) ص 9.

(2) المرجع السابق، ص 10.

فبالنسبة للنقطة الأولى وهي (تقبل الطفل) فقد عانت كثير من المجتمعات قديمها وحديثها من بعض الانحرافات السلوكية بالنسبة للطفل المولود، فالبعض كان يقتله إن كان ضعيف البنية، والبعض يرميه للعبيد يربونه، والبعض يئده إن كان بنتاً، والبعض يبيعه أو يقايض به إن كان معسراً (فقيراً وفي ضائقة مالية). وعندما جاء الإسلام حارب كل هذه الصور البشعة، وأكرم الطفل ورعاه، وخاصة إن كان يتيماً، بعكس ما كان يجري، وبالرغم من موقف الإسلام الواضح من حسن تقبل الطفل وحمايته ورعايته، إلا أن بعض المجتمعات الحديثة والمعاصرة ما زالت تتخذ موقفاً عدائياً من المولود، إن كان بنتاً، وتعتبر ذلك نذير شؤم وعار على المجتمع (ومن هذه المجتمعات: صعيد مصر). بل إن بعض المثقفين ما زال يعتقد في أفضلية الذكر على الأنثى، ويرى أن تستمر زوجته في الإنجاب حتى تأتي له بذكر، وإذا لم يأت، فإن مصير هذه الزوجة يكون الطلاق، وجاء في جريدة الأهرام القاهرية حادثة بعنوان[1] (أمّ البنات.. استبدلت مولودتها بمولود ذكر في المستشفى) وحدث ذلك نتيجة خوف الأم من زوجها الذي يعايرها بإنجاب البنات. مع العلم بأن جينات الرجل هي المسؤولة عن تحديد جنس الجنين (ذكراً أو أنثى) وليس المرأة.

بالنسبة للنقطة الثانية وهي (اختيار اسم حسن) فما زلنا نسمع عن أسماء تتنافى مع شريعة الإسلام، مثل عبد الرسول وعبد النبي... وأيضاً أسماء لبنات أقرب إلى المجتمعات الأجنبية منها للعربية، مثل انجي وجي جي.

ونود أن نشير إلى أن بعض الدول ترغم الأقليات المسلمة التي تعيش فيها، على تغيير أسماء أبنائها بما يتفق مع المذهب الذي تدين به الدولة، ومن هذه الدول: رومانيا، وتايلاند، واليونان.

وهذه الأقليات المسلمة تنطبق عليها الآية الكريمة: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[2].

---

(1) جريدة الأهرام، الخميس 11 شعبان 1410هـ الموافق 8 مارس 1990 ص 13.

(2) سورة النحل، آية: 16.

وبالنسبة للنقطة الثالثة وهي (الرضاعة) فقد تحدث علماء النفس عن أهمية الرضاعة الطبيعية سواء بالنسبة للطفل الرضيع أو الأم كما تناولوا بالحديث موضوع الفطام، ونصحوا بالتدرج فيه خوفاً من آثاره النفسية على الطفل. أما ما جاء في مصادر التربية الإسلامية، فقد فصلت أكثر من هذا بكثير وتعرضت لنقاط لم يتناولها علماء النفس المعاصرون إلا في كتابات متفرقة.

فقد أشار القرآن الكريم إلى أهمية الرضاعة الطبيعية، وخاصة من الأم، كما أوضح أن الأمر قد لا يسلم من أن ترضع الطفل غير أمه ولكن في كل الأحوال، فإن مدة الرضاعة لا تتجاوز حولين كاملين، وأوضح المفسرون الأضرار التي يمكن أن تلحق بالأم والطفل إن تجاوزا هذه المدة.

أما ما جاء على لسان مفكري الإسلام مثل ابن سينا وابن الجزار القيرواني، فقد تناولا نقاطاً تفصيلية عديدة ودقيقة، شملت المرضعة والطفل. وقد جاء بشأن الطفل، ما يتعلق بلحظة الميلاد من قطع الحبل السري وربطه، وأيضاً كيفية غسله وتدليكه، وكذلك إحمامه وأوقات ذلك وكيفية المحافظة على نظافته، وأيضاً وصفوا حال نوم الطفل. ثم تناولا أهمية اختيار المرضعة ووضعوا مواصفات لتلك المرضعة شملت: العمر، السمنة والهيئة، والخُلُق، وطريقة الإرضاع، والأعمال التي تزاولها، والأطعمة والأشربة. وتناولا بالشرح أيضاً فطام الطفل، سواء مدته أو نوع الطعام الذي يتناوله بعد الفطام، وهذه المعلومات ذكرت منذ ما يقرب من ثلاثة عشر قرناً، ويبدو لمن يقرؤها أنه يطالع كتاباً حديثاً لأحد أساتذة طب الأطفال في إحدى الجامعات الكبرى، وهذا يمثل جانباً واضحاً لعظمة مفكري الإسلام، كما أنه يعتبر مرشداً هاماً للأمهات في كيفية تربية أولادهن ورعايتهم الرعاية الكاملة.

وبالنسبة للنقطة الرابعة وهي (اللعب)، فقد بين علماء نفس الطفولة أهمية اللعب لطفل هذه المرحلة، ووضعوا النظريات التي تفسر ذلك النشاط الحيوي للطفل، كما تعرضوا إلى لعبة الطفل وما تؤديه من إشباع لحاجات نفسية وجسمية واجتماعية وعقلية.

أما التربية الإسلامية فقد أكدت هي الأخرى على أهمية اللعب بالنسبة للأطفال، وكذلك أشارت إلى دور الآباء في مشاركة الأطفال ألعابهم، وأوضحت بعض أنواع الألعاب وأيضاً المواد التي يمكن أن يستخدموها في اللعب.

وأفاض المفكرون الإسلاميون في هذا الأمر، وسبقوا عصرهم والعصور التالية لهم في شرح أهمية اللعب التربوي ووقته ومحاذيره. وفي ضوء أهمية اللعب للأطفال، فإن واقع الساعة لا يشجع الأطفال على اللعب، فالشقة الضيقة، والسكن في العمارات يحرم الطفل من عامل مهم في تكوين شخصية الطفل في الكبر وهو اللعب.

وفي بحث أجراه عالم سويدي بشأن متاعب الأطفال ساكني الشقق الضيقة، ذكر أن الطفل قد يصاب بالانطواء والتلعثم والخجل الشديد، كما قد يفقد القدرة على التكيف مع الظروف المتغيرة للحياة فيما بعد. ويقدم هذا العالم للأم والأب مساهمات للتخفيف من هذه الآثار ومن هذه المساهمات أن تحاول الأم تخصيص ركن من الحجرة تضع فيه لعبه والأشياء التي تخصه، بحيث يستطيع اللعب فيها مع أصدقائه بحرية تامة دون خوف من كسره لأي شيء. وأيضاً على الوالدين أن يخصصا يوماً في الأسبوع يذهب فيه الطفل إلى الحديقة أو النادي أو مزرعة أو أي مكان متسع وآمن بحيث يستطيع أن يجري وينطلق دون أن تحده أي قيود[1].

وإذا ما تأملنا في حال البيوت السودانية بصفة عامة (بدرجاتها الثلاث الأولى والثانية والثالثة)، اتضح أنها تترك مساحة أمام وخلف الجزء السكني، وهو يلائم تحرك الأطفال بيسر وسهولة، ويتيح لهم فرصة اللعب دون قيود أو تعليمات الأمن الموضوعة داخل حجرات البيت، إلا أن الملاحظ أيضاً أن الأدوات التي يلهو بها الأطفال بسيطة جداً وتفتقر إلى الإبداع والابتكار، وهذا راجع إلى صعوبة ومعوقات استيراد لعب الأطفال وغلو ثمنها مع ضعف المستويات الاقتصادية لمعظم الأسر السودانية.

---

(1) محمد رفعت: **كيف تربين أولادك**، مرجع سابق، ص. ص 171 ـ 173.

والأمر هنا يحتاج لدراسة وصفية، تقوم بمسح شامل لإمكانيات العاصمة القومية ـ على سبيل المثال ـ لعمل متنزهات عامة يؤمها الصغار والكبار وتحتوي على ألعاب للأطفال رخيصة الثمن وبسيطة في التركيب ومحلية في المواد المصنعة.

وبالنسبة للنقطة الخامسة وهي (آداب الطعام والشراب)، فقد وجهت التربية الإسلامية أنظار الآباء والأمهات إلى ضرورة مراعاة القواعد الإسلامية المتبعة في تناول الطعام والشراب، ووجوب تعليمها لأولادهم والاصطبار عليها، حتى تثبت لديهم وتصبح جزءاً من شخصياتهم عند الكبر.

هذا بالنسبة للجانب الجسمي (أو التربية الجسمية) أما الجانب الاجتماعي، فقد تناول الباحث أهم خصائص هذه المرحلة العمرية في هذا الجانب، طبقاً لوجهة نظر علماء النفس. أما بالنسبة لما جاء في التربية الإسلامية في هذه المرحلة العمرية فقد تمثل أساساً في تحمل الآباء والأمهات (العناصر الرئيسة في الأسرة) لمسؤولياتهم في عمليات تطبيع الطفل اجتماعياً، والتي يمكن أن تتم من خلال عدة وسائل منها:

- التعامل بالرحمة مع الأبناء.
- التعامل بالعطف واللين في غير إسراف.
- العدل والمساواة في المعاملة بين الإخوة.
- إتاحة فرص اللعب الجماعي بصفة خاصة، واللعب بصفة عامة.

على أن تكون هذه الوسائل وغيرها في إطار العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة وبين أعضائها، حتى يتعرف الطفل على الأدوار الاجتماعية والمكانات، والتي تلعب دوراً هاماً في عمليات التطبيع الاجتماعي.

وهنا يؤكد الإسلام على الحرص على صلة الأرحام، حتى تتسع دائرة التفاعلات الاجتماعية، وخاصة إذا تمت في إطار الحب والود والتسامح والتعاون.

ولم تهمل التربية الإسلامية، الطفل اليتيم، كما نسيته القوانين والنظم الوضعية. فقد جاء في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الفقرة الثانية من المادة الخامسة والعشرين ما نصه: «حق الطفولة في المساعدة والرعاية الخاصة وعلى تمتع كل الأطفال بقدر متساو من الحماية الاجتماعية». ولكن القرآن الكريم جاء بهذا

وتفصيل أكثر وأدق، حيث تميز بإعطاء عناية خاصة لليتامى، ورعايتهم وحفظ حقوقهم، وحسن كفالتهم والسعي على رزقهم[1].

وبالنسبة للجانب الوجداني، والذي يشمل الانفعالية والعواطف والاتجاهات والميول، فقد تناول الباحث أهم المظاهر الانفعالية لطفل هذه المرحلة، والتي تتمثل في حدة وشدة انفعالاته.

وناقش الباحث العوامل التي تفسر هذا المظهر السلوكي، كما عرض لموقف التربية الإسلامية في معالجة حدة انفعالات الطفل، ثم انتقل لمناقشة بعض المظاهر الانفعالية لطفل هذه المرحلة، وأولى هذه المظاهر: الخوف، وقد تناول الباحث أنواع الخوف (عادي، مرضي) وتبين أن الخوف مظهر مكتسب لدى الأطفال وليس وراثياً، كما اتضح من المناقشة العوامل التي تساهم في زيادة الخوف المرضي لدى الأطفال وكيف عالجت التربية الإسلامية هذه الأسباب. وذلك من سلوكيات الآباء وأفراد المجتمع المحيطين بالطفل. والمبدأ العام لعلاج الطفل ـ كما هو في الكبار ـ «درهم وقاية خير من قنطار علاج» بمعنى عدم اللجوء إلى تخويف الطفل من أشياء لا لزوم لتخويفه منها، وليس معنى هذا ألا يخاف الطفل مطلقاً، فالخوف لا بد منه في بعض الأمور لأنه يحفظ بقاء الإنسان، فعليه أن يخاف من الله وإيذاء الناس، وارتكاب الجرائم.. إلخ، وليكن خوفه طبيعياً سوياً لا مبالغة فيه ولا تهاون. وهناك مجموعة من الوسائل التي يتبعها الأطباء النفسانيون في علاج حالات الخوف المرضي لدى الأطفال، ويمكن الرجوع إلى تفاصيلها في مراجعها المتخصصة[2].

---

(1) راجع:

أحمد حافظ نجم: **حقوق الإنسان بين القرآن والإعلان** (دار الفكر العربي القاهرة، 1987) ص 135.

(2) ومن هذه المراجع:

(أ) فاخر عاقل: **أصول علم النفس وتطبيقاته**، مرجع سابق، ص. ص 219 ـ 221.

(ب) معروف زريق: **كيف نربي أبناءنا**، مرجع سابق، ص. ص 42 ـ 44.

(جـ) محمد رفعت: **كيف تربين أولادك**، مرجع سابق، ص. ص 145 ـ 147.

(د) محمد عماد الدين إسماعيل: **الأطفال مرآة المجتمع**، مرجع سابق.

والمظهر الانفعالي الثاني فهو (نوبات الغضب)، وهو كسابقه قد يكون عادياً ومطلوباً، وقد يكون مرضياً. والغضب عند الأطفال له أسبابه الكثيرة والمتداخلة، وبعضها قد يكون مسبباً لمظهر انفعالي آخر غير الغضب، لذا فإن بعض الأسباب قد تكررت هنا وفي حالة الخوف.

والتربية الإسلامية عندما تعاملت مع الإنسان لم تتعامل معه كجزئيات، بل ككل متكامل، ولذا نجد حديث رسول الله ﷺ جامعاً لأكثر من مشكلة أو حالة مرضية ولكن العلاج قد يكون واحداً.. ومن أمثلة ذلك حديث رسول الله ﷺ عن العدل بين الأبناء مانعاً لإثارة غضب الطفل، وقد يكون العدل بين الأبناء أحد طرق التطبيع الاجتماعي للطفل، وقد يكون علاجاً لمشكلة الطفل المدلل.

وهكذا في مواقف كثيرة، ولكن ليس كل المواقف، حيث تختص بعض المواقف بعلاج حالات بعينها.